السبت 10 كانون الأول 2022
العدد 4799 السنة السابعة عشرة
Samedi 10 Décembre 2022 no 4799 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

عصر الزعنّي
عبقري الفن الشعبي شاهد على تاريخ لبنان

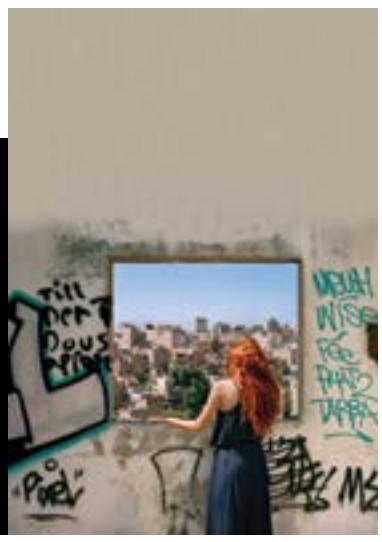

كرواتيا تصعق البرازيل وتخرجها من المونديال [6]

بكركي لم تقتنع بعد بدورها كمرجعية لأي مرشح رئاسي

هل اجتمع ميقاتي مع ابن سلمان؟ [2]

اطلب القوس مع الأخبار

لا انتخابات بلدية كرمى للمناصفة!

[4]

(الأخبار)

البلاد

ملف
الانتفاضة الأولى
«أراه طالعاً من حجر»
[12-13]

ملف
وليد دقة
انتصارنا على كل عجز
[14-15]

تقرير
حصاد قِمم الرياض
مكسب صيني مضمون... «أرباح» سعودية مشوَّشة
8

المشهد السياسي

بكركي لم تقتنع بعد بدورها كمرجعية لأي مرشح رئاسي
هل اجتمع ميقاتي مع ابن سلمان؟

عادت الاتصالات بشأن الملف الرئاسي إلى دائرة الضوء بقوة محلياً وخارجياً. ويبدو أن البطريرك الماروني بشارة الراعي سيكون في المرحلة المقبلة محوراً أساسياً في هذا الملف، علماً أن الجهود التي بدأها النائب جبران باسيل منذ الصيف الماضي لم تصل إلى نتيجة تحسم إقناع بكركي بإدارة الملف من زاوية أن أي رئيس للجمهورية يجب أن يحظى بشرعية حقيقية عند المسيحيين أولاً. وتنطلق مبادرة باسيل من فكرة أن الراعي يمكنه إدارة حوار مسيحي – مسيحي حول الأمر قبل الذهاب نحو تفاوض يؤمن غالبية لبنانية داعمة للمرشح الرئاسي.

في غضون ذلك، تواصل باريس والدوحة مساعيهما للتوصل إلى تسوية تقوم على مرحلتين: الأولى تستهدف التفاهم مع مسيحيي لبنان أولاً، والثانية تستهدف التفاهم مع حزب الله. وإن عنوان المساعي حول التوصل إلى مرشح لا يتصادم مع «المجتمعين العربي والدولي»، أي عملياً أن يحظى الرئيس المقبل برضى الأميركيين والسعوديين. ومع أن المرشح الفعلي هو قائد الجيش العماد جوزيف عون، فإن هذا التحالف لمس من خلال مفاوضات جرت خلال الأسبوعين الماضيين،

> ميقاتي يسعى مع فرنسا والسعودية لبقى رئيسا لحكومة العهد الجديد

بأنه لا يمكن فرض قائد الجيش على غالبية وازنة من القوى السياسية. وقرر الجانبان الفرنسي والقطري تطوير التواصل مع قائد الجيش الذي يجري التحضير لزيارة رسمية له إلى قطر، مع همس حول إمكانية ترتيب زيارة أيضاً إلى السعودية في حال أفلحت الاتصالات الخارجية في إقناع ولي العهد السعودي بالانخراط بشكل أكبر في الملف اللبناني.

غير أن الجديد - القديم هو سعي البعض إلى أن تشمل التسوية الرئاسية ملف الحكومة المقبلة. وفيما يقود التيار الوطني الحر معركة الإتيان بحكومة لا يتولى رئاستها شخصيات مثل الرئيس نجيب ميقاتي، فإن الأخير، الذي يتولى جانباً من الاتصالات مع الفرنسيين، يسعى بقوة من خلال باريس للوصول إلى تفاهم مع السعودية ومصر ليكون على رأس الحكومة المقبلة، أيا يكن رئيس الجمهورية المقبل. وأن في حالة الموافقة العربية فإن الأميركيين لن يقفون في وجهه. وينطلق ميقاتي في مساعيه من نتائج سابقة للحوار الفرنسي - السعودي حول دور رئيس الحكومة. ويومها قال السعوديون للفرنسيين «إنكم تتحدثون معنا عن سعد الحريري ونجيب ميقاتي، الأول كان هو رجلنا وصار في حضنكم ولكن الثاني هو رجلكم وبقي في حضنكم» وهو السبب الذي وقف خلف امتناع السعودية عن إطلاق أي موقف إيجابي من حكومة ميقاتي.

وأبلغت مصادر مطلعة «الأخبار» أن ميقاتي نجح على ما يبدو في كسر الحصار. وتمكن من عقد لقاء مع ولي العهد السعودي محمد بن سلمان. وسط تضارب في المعلومات حول مكان اللقاء وزمانه ومدته، بينما قال مطلعون إن الاجتماع تم في شرم الشيخ وليس على هامش افتتاح بطولة كأس العالم في قطر، وإنه لم يدم طويلاً. لكن آخرين قالوا إن الاجتماع استمر لأكثر من 45 دقيقة، لافتين إلى أن ميقاتي لن يأتي على ذكر الأمر، بل قد يتفيه لتجنّب إزعاج السعوديين الذين بدأوا أخيراً نقاشاً حول طريقة التعامل مع الملف اللبناني انطلاقاً من الاستحقاق الرئاسي.

وكان باسيل زار أمس البطريرك الماروني وبحث معه في أمرين، الأول يتعلق بإمكانية أن تقود بكركي حواراً مسيحياً – مسيحياً حول الرئاسة، وقد اقترح باسيل أن يوجه الراعي دعوة إلى القيادات المسيحية البارزة، لكن الأخير أبلغه أن قائد القوات اللبنانية سمير جعجع ليس في وارد مثل هذه اللقاءات الموسعة، وأن آخرين لديهم مواقف مشابهة. ولذلك تم اقتراح أن يتولى الراعي شخصياً حوارات ثنائية مع جميع الأقطاب المسيحيين قبل الوصول إلى خلاصة في شأن الملف الرئاسي.

وإلى جانب الملف الرئاسي، كان موضوع «التعدي على صلاحيات رئاسة الجمهورية» محور الاجتماعين بين الراعي وباسيل على حدة ومع الرئيس السابق ميشال عون من جهة ثانية. وكان واضحاً أن الرئيس عون لا يريد توسيع دائرة السجال العلني حول ما حصل في الملف الحكومي.

باسيل عاد وأكد من بكركي أن «ما حصل بشأن انعقاد جلسة مجلس الوزراء لا يجب أن يمر بشكل عادي»، مشيراً إلى أنه استكمل مع البطريرك الراعي ما كنا بدأناه في موضوع الرئاسة، للوصول إلى شخصية تحظى بتأييد الثلثين. وهذا الموقع له رمزيته وعلينا مسؤولية بالانفتاح على الجميع»، ودعا إلى متابعة حلقته التلفزيونية يوم غد على قناة الـ «أل بي سي»، معلقاً على الخلاف مع حزب الله بالقول «هم من يقرر مصير العلاقة. وأنا رجل مُسالم». وفيما اعتبرت مصادر بارزة أن «ما يحاول باسيل القيام به على المستوى المسيحي لن يؤتي ثماره لأن أحداً من القوى السياسية لن يقبل به»، أشارت إلى أن «كلامه يوم الأحد سيكون مفصلياً لجهة العلاقة مع الحزب والتي سيحددها السقف الذي سيعتمده في مقاربته للأزمة»، مرجحة أن «لا يذهب بعيداً في تعميق الخلاف».

من جهة أخرى، حضر الملف اللبناني في القمة السعودية – الصينية التي انضم إليها ميقاتي، من خلال عبارات أكدت على سياسة الرياض تجاه لبنان في السنوات الأخيرة، وأتت مشابهة للبيان السعودي – الفرنسي المشترك الذي صدر قبل عام إثر زيارة قام بها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى المملكة، مؤكدة «أهمية إجراء الإصلاحات اللازمة، والحوار والتشاور بما يضمن تجاوز لبنان لأزمته، تفادياً لأن يكون منطلقاً لأي أعمال إرهابية وحاضنة للتنظيمات والجماعات الإرهابية، التي تزعزع أمن واستقرار المنطقة، أو مصدراً أو معبراً لتهريب المخدرات».

(الأخبار)

(هنّ الويب)

تقرير

رواية تهريب السلاح عبر المطار: إشاعة إسرائيلية وتسويق فرنسي - سعودي وتجاوب «لبناني»!

يحيى دبوق

نجحت إسرائيل في إثارة خصوم وأعداء المقاومة في لبنان، عبر الترويج لما تقول إنه احتمال أن تستخدم إيران، مطار بيروت الدولي، لنقل السلاح إلى حزب الله. والروايةُ الإسرائيلية جاءت هذه المرة، كما مرات عدة في السابق، عن طريق قناة «العربية»، الموالية للسعودية، التي أشارت إلى قلق إسرائيل وخشيتها الكبيرين من الفرضية المشار إليها، بعد أن سيّرت شركة «معراج» الإيرانية، رحلات مدنية وتجارية من وإلى بيروت. وذكرت القناة السعودية، نقلاً عن مصادر لم تسمها، أنّ رحلات الشركة الإيرانية إلى لبنان «قد تنقل أسلحة ومعدّات حسّاسة إلى حزب الله»، مشيرة إلى أن «استغلال مطار بيروت في نقل أسلحة إيرانية للبنان، سيضر الاقتصاد اللبناني».

وكما هي عادة التناغم والتخادم بين الإعلام الموالي للسعودية ومؤسسة المتحدثين باسم جيش العدو، أعادت وسائل الإعلام العبرية تلقف ما كانت المصادر الإسرائيلية قد نقلته إلى «العربية» لتعيد إنتاج التقرير مع إضافات، ومن بينها الإيحاء بإمكان أن تكون فرضية شن هجمات إسرائيلية موجودة على طاولة القرار في تل أبيب.

بالطبع، ليست هذه هي المرة الأولى التي تتحدّث فيها تل أبيب عن مطار بيروت الدولي، وعن إمكان أن يجري استخدامه لنقل أسلحة من إيران إلى حزب الله، تماماً كما كان عليه حديث تل ابيب عن مرفأ بيروت، قبل أن الانفجار المدمر في الرابع من آب 2020، الأمر الذي يدفع إلى مروحة من التقديرات ربطاً بالادعاء الإسرائيلي الجديد.

وكما كان متوقعاً، كان يكفي خصوم وأعداء المقاومة في لبنان، تقريرُ إعلامي معاد إتجاهه على خلفية اتفاق تسيير رحلات جوية مدنيّة لشركة طيران إيرانية إلى مطار بيروت الدولي، لإثارة التقرير والمراكمة عليه، بما يشمل مسارعة قائد «القوات اللبنانية» سمير جعجع في المطالبة بعقد جلسة طارئة لمجلس الوزراء لبحث «استخدام حزب الله المطار لنقل السلاح»، فيما بادر مسؤولون لبنانيون إلى زيارة المطار ومعاينة الإجراءات والتأكيد على «الاستمرار بمكافحة التهريب على كافة المعابر الحدودية بالتعاون مع كل الأجهزة الأمنية والعسكرية».

تلقّف أعداء المقاومة الخبر الإسرائيلي السعودي، بالتكامل والتضامن، من أجل التشويش على المقاومة، وهي نتيجة يصعب فصلها عن السياسة الداخلية في لبنان. إلا أن الواضح أيضاً، كمطلب إسرائيلي، هو فرض سجال حول سلاح المقاومة من بوابة مطار بيروت ورواية التهريب، على جدول الأعمال في لبنان، في مرحلة كادت فيها الأمور تتجه نحو التراخي في التضاد الداخلي، قياساً بالمراحل التي سبقت.

وفيما تحاول «إسرائيل» تكريس الادعاء بشأن تهريب ونقل أسلحة إيرانية ووسائل تكنولوجيا متطورة عبر مطار بيروت، علمت «الأخبار» أن «رسائل دولية وصلت إلى لبنان، وتحديداً عبر الفرنسيين، للاستفسار حول تفاصيل ما وصفته بمسار التهريب ومعلومات عن شركة خطوط «معراج» الإيرانية التي بدأت تسيّر أخيراً رحلات جوية مدنية مباشرة بين طهران وبيروت»، ما اعتبرته مصادر بارزة بأنه «نوع من التهديد المبطن».

وبرغم أن وزير الداخلية بسام المولوي أوعز إلى الجهات المعنية التدقيق بالأخبار هذه، فقد عاد مدير عام الطيران المدني في المطار فادي الحسن إلى نفي كل هذه المعلومات وقال إن «الطائرة التابعة لشركة «معراج» الإيرانية هي واحدة من ثلاث شركات إيرانية تسير رحلات نظامية إلى بيروت وفق الأصول المتبعة»، مضيفاً أنه يجب التدقيق في خلفية القول بأن «شركة معراج التي بدأت تسيير رحلاتها إلى المطار في 14 تشرين الثاني الماضي تأتي بالسلاح».

لكن المسألة هي إعلامية إسرائيلية وحسب؟ منذ سنوات طويلة، تحكم المعادلات أداء العدو والمقاومة في الساحة اللبنانية، وعنوانها الامتناع عن حدث يتسبب باندلاع حرب، وهي معادلات ثبت رسوخها لدى الجانبين، الأمر الذي يجنّب لبنان خوض الحروب والمواجهات العسكرية وإن المحدودة منها. كما أن المتغيرات البينية، وما يرتبط بالجانبين، لا يوحي في هذه المرحلة أن إسرائيل تتجه، أو تهيئ الميدان، لإمكان خرق المعادلات تمهيداً لتغيير قواعد الاشتباك، وإن كان من مصلحتها تحقيق ذلك والتخطيط له. رغم الفروق بين تشخيص المصلحة وتحقيقها.

كيفما اتفق، إن كان الهدف مقتصراً على نتيجة إثارة السجال الداخلي حول سلاح المقاومة، فلن يتغيّر من الوضع الراهن شيء، وسيسجّل لإسرائيل أولاً، وللسعودية بالتبعية ثانياً، أنهما يواكبان ما يجري في لبنان ويحاولان استغلال كل ما يحدث فيه، بهدف الإضرار بالمقاومة، كما يسجّل لهما النجاح في الإثبات أن لديهما في الساحة اللبنانية من يمكن الرهان عليه، غب الطلب، إن كان الهدف هو الإضرار، وإن بالتشويش، بالمقاومة.

> الواضح، كمطلب إسرائيلي، هو فرض سجال حول سلاح المقاومة من بوابة مطار بيروت ورواية «التهريب»، على جدول الأعمال في لبنان

(هيثم الموسوي)

في الواجهة

حليفا «تفاهم مار مخايل»: أكثر من خلاف وأقل من طلاق

> ما يحتاج إليه حزب الله والتيار الوطني الحر في حوارهما الجدي المقبل الوقوف في منتصف الطريق التي لا تنتهي بالطلاق: تجنب تزعزع تحالفهما المبرم منذ عام 2006. والاتفاق على إدارة خلافهما المستعصي الحل على انتخابات الرئاسة إلى أن يحين أوانها

نقولا ناصيف

ليس بيانا حزب الله والتيار الوطني الحر كما توزّع أصوات اقتراع الجلسة التاسعة لانتخاب رئيس للجمهورية الخميس، كفعل ثم كرد فعل، سوى تبادل رسائل سلبية بين حليفين لم يصلا إلى مثل هذا التحدي لتحالفهما قبل 16 عاماً. بعدما اعتادا اللوم والعتب وتسجيل المآخذ في الخفاء والعلن، للمرة الأولى يتبادر إلى الذهن تبرير موقفيهما كأنهما على أبواب أكثر من تباين وخلاف. البعض الشامت بعدّه إنذاراً بافتراق توطئة للطلاق، إن لم يكن قريباً إلا أنه لم يعد بعيداً كثيراً. نظر إليه بعضٌ آخر في الفريق الشامت أيضاً، الخصم للطرفين، على أن ما حدث نتيجة حتمية لمرحلة ما بعد ولاية الرئيس ميشال عون. عزا هؤلاء أصل دوافع «تفاهم مار مخايل» إلى صفقة مبكرة منذ عام 2006 بدعم وصول عون إلى رئاسة الجمهورية في مقابل توفير غطاء مسيحي لسلاح الحزب في الداخل، كي يستخلصوا الآن مبرر عدم استمرار التفاهم بعدما انتفت الحاجة، كما القدرة، إلى تكرار صفقة مماثلة للرئاسة اللبنانية المقبلة.

يتسلح الشامتون إياهم بملاحظتين على الأقل:

أولى أن حزب الله لم يعد قادراً، ولا يملك خصوصاً في ظل توازن قوى مجلس النواب، أن يفرض على الأفرقاء الآخرين رئيساً للجمهورية إما لا يريدونه أو هم على خلاف معه. مرور الوقت بين عامي 2014 و2016 حمل الأفرقاء إياهم على التسليم بأن لا رئيس للجمهورية ما لم يكن عون بالذات. ذلك الدين قد سُدّد ما إن انطوت ولاية الرئيس السابق.

ثانية أن طرفَي «تفاهم مار مخايل» أفصحا في وقت واحد عن خوف مزدوج ظاهره مشترك في توقيته، لكن باطنه مختلف. هما خوفان باتا متوازيَين يسيران جنباً إلى جنب بعدما كانا متطابقين في عقد ونصف عقد من الزمن: خوف حزب الله من فقدانه الحليف المسيحي القوي على وفرة ما يقوله الأمين العام السيد حسن نصرالله من أن المقاومة لم تعد تحتاج إلى الإجماع عليها، وهي كفيلة بحماية نفسها بنفسها ولا تطلب من أي فريق داخلي أن يحميها، وتحمل من خلال سلاحها ضماناتها بنفسها ولنفسها. خوف الحزب من طلاقه مع التيار الوطني الحر يُشعره بلا أدنى شك بأنه أضحى في مواجهة الطوائف الأخرى جميعاً. بعد السنّة والدروز ها هم المسيحيون. يماثل هذا الخوف ما يخشى رئيس التيار الوطني الحر من أن طلاقه مع حزب الله سيجعله عرضة لما يشبه الافتراس الحقيقي و«النهش» حتى، هو المحاط بانتهاء ولاية عون، ليس بخصوم فحسب، بل باعداء بما تضمره الكلمة من معنى. السنّة والدروز ونصف المسيحيين ونصف الشيعة، فما بالك بالنصف الآخر من الشيعة عندما يبتعد عنه.

ذلك ما يحمل الحزب والتيار على تهيّب الافتراق فالطلاق إن لم يُدفعا إليه دفعاً. ربما يمكن القول إن ثمة امتيازاً يملكه أحدهما ويفتقر إليه الآخر. خروج التيار الوطني الحر من السلطة بمواقعها المهمة والنافذة وفقدانه الظهير الذي يقوده إليها يجرده من كل شيء تقريباً ما خلا قاعدته الشعبية التي تفقد إذذاك مقدرتها على التنامي، فيما الاحتياط الفعلي لحزب الله سلاحه على الأرض الأقوى فاعلية من وجوده داخل السلطة. استنتاج الشامتين أن حليفَي «تفاهم مار مخايل» هما الآن أمام أصعب خياراتهما. الحقيقة الكاشفة التي باتت تجبههما، وما حدث في الأيام الأخيرة منذ جلسة مجلس الوزراء وصولاً إلى الجلسة التاسعة لانتخاب الرئيس، دليل إضافي على أن كليهما عارف بأنه لم يعد في وسعه أن يعطي الآخر كل ما يطلبه. التعبير الأكثر دلالة والأقرب مثالاً لما بات بين الحليفين، أن حزب الله لا يملك أن يعطي باسيل كل ما يريده، ولا باسيل قادر على أن يجاري حزب الله في كل ما يطلبه.

جلسة الخميس الفائت بحصيلة الأصوات التي وصلت إليها، 39 ورقة بيضاء في مقابل 39 صوتاً للنائب ميشال معوض إلى 27 ورقة موزّعة على لاغية وأسماء مرشحين آخرين

> ضمانات حزب الله: باسيل شريك أساسي لانعقاد أي جلسة لمجلس الوزراء وكذلك قراراتها

تكاد تقترب من الثلث الثالث مع طرفَي المواجهة في الاستحقاق، أفصحت عن علامة سلبية لمقاربة حزب الله الرئاسة الأولى التي يريد الوصول إليها بالمرشح الذي يطمئن إليه. ذلك ما أدى إلى بضعة معطيات ترتبت على التطورات الأخيرة بين الاثنين، بانعقاد جلسة مجلس الوزراء (5 كانون الأول)، والجلسة التاسعة لانتخاب الرئيس الخميس:

1. رغم اجتماع باسيل بنائبَي الحزب علي عمار وحسن فضل الله على هامش

(هيثم الموسوي)

جلسة انتخاب الرئيس، إلا أن الحوار بين الفريقين لم يبدأ بعد. البعض المطلع يرجح مباشرته جدياً قبل الاثنين المقبل، بعد أن تكون بردت قليلاً الرؤوس الحامية وباتا جاهزين للتحدث بهدوء تحت سقف أن لا طلاق بينهما لأن أياً منهما لا يريده.

2. النتائج الأولى المتوخاة من حوارهما المقبل، اتفاقهما على إدارة خلافاتهما في ملفات المرحلة المقبلة. هي في الواقع ملفان اثنان رئيسيان يباعد بينهما: رئاسة الجمهورية واجتماعات مجلس الوزراء إذا دُعي مجدداً إلى الالتئام.

3. كلا الطرفين لا يريد توقّع الطرف الآخر يسيء إلى تحالفهما إلى حد الطعن. بدا أخيراً خلافهما على اجتماع حكومة تصريف الأعمال مهماً ومقلقاً، وهو السبب المباشر لرفع النبرة عشية جلسة انتخاب الرئيس. بيد أن خلافاً كهذا يسهل تذليل مشكلاته بعدما بَانَ في جلسة الاثنين أن حزب الله بالذات، بوزيريْه، هو الذي وفّر النصاب القانوني لانعقادها، وهو القادر حتماً على الحؤول دونها. افتقر باسيل إلى الثلث +1 للتعطيل بعدما تخلى عنه وزير الصناعة، فأمسى النصابان الدستوري والسياسي في يد حزب الله، ما في وسعه الحزب فرضه على رئيس الحكومة نجيب ميقاتي من الآن فصاعداً، شرطاً لالتئامها، الأخذ في الحسبان أن باسيل في صلب معادلة إدارة السلطة في مرحلة الشغور الرئاسي، وشريك أساسي في انعقاد الجلسة والقرارات التي تصدر عنها، لا تجاهله ولا التعامل معه كما لو أنه يسهل الاستغناء عنه.

4. يعرف الحزب الحقائق الحالية المحوطة بانتخابات رئاسة الجمهورية. لا يملك توفير غالبية الثلثين لانعقاد جلسة انتخاب مرشحه سليمان فرنجية، ولا يملك كذلك إقناع باسيل بالتصويت للنائب السابق لزغرتا، ولا يملك أن يقبل بأي مرشح آخر يقترحه باسيل أو سواه لانتخابه رئيساً لا يطمئن إليه ويثق به. فوق ذلك يعرف أن الظروف الإقليمية والدولية غير مؤاتية لانتخاب مرشحه على نحو ما حصل عام 2016، عندما أتاح اتفاق ضمني بين الأميركيين وإيران ولاية الرئيس باراك أوباما والإيرانيين تسهيل انتخاب عون رئيساً للجمهورية.

يؤكّد متابعون أن الانتخابات البلديّة المقبلة ستنتج مجلساً بلدياً في بيروت مؤلفاً من 24 عضواً مسلماً مع صعوبة وصول المرشحين المسيحيين إلى المجلس، في ظلّ انعدام الاتفاق بين القوى المحليّة وغياب الضمانة الحريريّة للحفاظ على عُرف المناصفة. ويرجّح هؤلاء سيناريو تطيير الانتخابات البلديّة إلى حين إقرار قانون يحفظ المناصفة، مقابل تقليص صلاحيات المُحافظ المسيحي

(الرشيد ـ مروان طحطح)

على الغلاف

مطران بيروت يرفض «تقسيم» مجلسها البلدي حفاظاً على صلاحيات المُحافظ

تطيير الانتخابات البلدية كرمى للمناصفة!

لينا فخر الدين

في الانتخابات البلدية المفترض أن تُجرى في أيار المقبل، ما من أحد يمكن أن يضمن المناصفة «الحبّية» بين المسلمين والمسيحيين في المجلس البلدي للعاصمة. من كان يُحبك التسويات لتاليف لائحة موحّدة تتمثّل فيها كل القوى السياسية، و«يدقّ» على صدره متعهّداً بوصول 12 عضواً مسيحياً إلى المجلس، رغم انخفاض أعداد الناخبين المسيحيين، غادر الحياة السياسيّة.

ليس اغتيال الرئيس رفيق الحريري ثم تعليق سعد الحريري عمله السياسي وحدهما ما يجعلان عُرف المناصفة صار في خبر كان. نزعة «الانتقام» أيضاً حاضرة. إذ إن تيار المستقبل لن يجد فرصةً مؤاتية أكثر من الانتخابات البلديّة لردّ الصاع إلى حزب القوات اللبنانيّة الذي حارب الحريري على المكشوف ودش لدى السعودية لإنهاء «عمره» السياسي. إذ يؤكد أكثر من متابع وعضو في المجلس البلدي لمدينة بيروت أنّ «المناصفة طارت لأنّ تشكيل لائحة تضم قوى سياسيّة كما في السابق يكاد يكون مستحيلاً في الظروف الحاليّة»، إضافة إلى الخرق الذي يُمكن أن ينتج من تحالف القوى الاعتراضية بعدما كانت لائحة «بيروت مدينتي» قريبة جداً من تحقيق خرق في الانتخابات السابقة.

استناداً إلى هذا كله، وفي حال استمرار ضياع التحالفات السياسية، يكاد يجزم كثيرون بأن مجلس بلديّة بيروت المقبل سيتألف من 24 عضواً مسلماً (سنياً وشيعياً) مع استحالة وصول أي عضو مسيحي. وهذا حصل في ستينيات القرن الماضي، ودفع مجلس الوزراء في حينه إلى عزل بعض الفائزين من المسلمين وتعيين أعضاء مسيحيين، قبل أن يتعهّد الحريري الأب، في أول انتخابات بعد الحرب الأهلية (1998)، بتحويل المناصفة إلى عُرف يلتزم به المسلمون.

يقول عضو بلدي: «طالما أن مجلس النواب لم يقرّ قانوناً يحوّل عُرف المناصفة إلى قانون، وطالما أن الحريري غائب عن الحياة السياسية، لا شيء يضمن المناصفة الإسلامية – المسيحيّة في المجلس البلدي المُقبل». وفي حال حصول ذلك، فإنه سيُحيي طرح القوات اللبنانية والتيار الوطني الحر

> **يجزم كثيرون بأن مجلس بلديّة بيروت المقبل سيتألف من 24 عضواً مسلماً**

تقسيم المجلس البلدي للعاصمة إلى بلديتين مسلمة ومسيحيّة، ربما مع الأخذ في الاعتبار هذه المرة هواجس الأعضاء المسلمين من الصلاحيات الكُبرى التي يتمتع بها المحافظ الأرثوذكسي بما يُقيّد صلاحيات رئيس المجلس السني.

وفيما يشير متابعون إلى أن مرجعيات دينيّة مسيحية، من بينها متروبوليت بيروت وتوابعها للروم الأرثوذكس المطران الياس عودة، ترفض العودة إلى طرح تقسيم المجلس البلدي، يُعزى هذا الرفض إلى عدم الرغبة في فتح الباب أمام المسّ بصلاحيات المحافظ.

كل ذلك يشي بأن المشكلة تكاد تتعمّق أكثر مع اقتراب موعد الانتخابات البلديّة، وتتحوّل إلى إشكال سياسي - طائفي. لذلك، يؤكّد مسؤولون أن الحل قد يكون بتطيير المناسب، على أن يخرج «أرنب الحل» هذا من لجنة الداخلية والبلديات النيابيّة بحجة عدم إنهائها النقاش في قانون البلديّات.

ما يزيد من حظوظ التأجيل أنّ أياً من القوى السياسية لن تجرؤ في ظل الظروف السياسية الحالية على تقديم اقتراح قانون إلى مجلس النوّاب يتطيير المناصفة، كما أن مثل هذا القانون سيكون عرضة للطعن أمام المجلس الدستوري بذريعة مخالفته مقدمة الدستور التي تنص الفقرة «ح» منها على أنّ «إلغاء الطائفية السياسيّة هدف وطني أساسي يقتضي العمل على تحقيقه وفق خطة مرحليّة»، والفقرة «ط» على أن «أرض لبنان هي أرض واحدة لكل اللبنانيين (...) ولا تجزئة ولا تقسيم ولا توطين». والأهم أن القوى المسيحية تخشى من أن تتحمّل مسؤوليّة تحويل البحث في المناصفة إلى نقاش جدي حول تقليص صلاحيات المحافظ المسيحي. وقد تذهب الأمور إلى حدّ مطالبة المسلمين بتعيين محافظ مسلم.

لذلك، فإنّ الأمر متروك للجنة النيابيّة التي يُرجّح المتابعون أن تخرج بصيغة تثبّت عُرف المناصفة، وتطوي صفحة تقسيم البلديّة مقابل تقليص صلاحيات المحافظ، كتحديد سقف زمني له لإصدار قراراته وإلا تكون نافذة. إذ إن تعديلات كهذه ستخفّف من الصلاحيات التي تتحوّل في كثير من الأحيان إلى عراقيل أمام المجلس البلدي ورئيسه.

مجالس الظل لـ 12 حيّاً

ربط كثيرون بين تحويل عُرف المناصفة إلى قانون واقتراح القانون الذي تقدّم به النائب ماغوب ترزيان والذي ينص على أن مجلس بلدية بيروت يتألف من 24 عضواً من عضوَين من كل حيّ من أحياء بيروت الـ 12 (الرميل، الأشرفية، الصيفي، الباشورة، المدوّر، المرفأ، رأس بيروت، ميناء الحصن، دار المريسة، المزرعة، المصيطبة، زقاق البلاط) يُنتخبون بالنظام الأكثري.

كما ينص الاقتراح على إنشاء مجلس محلي في كل حيّ، مؤلف من 5 أعضاء يُنتخبون بالاقتراع المباشر، وينتخبون رئيساً ونائب رئيس.

ويكون دور المجلس المحلي: إعطاء الآراء الاستشاريّة في كل مشروع يقع ضمن دائرته، واستطلاع رأيه إلزامياً في كل مشروع تنوي البلديّة المركزيّة تنفيذه ضمن نطاقه أو في خدمة هذا النطاق، ورفع الاقتراحات إلى مجلس بلدية بيروت المركزي لمناقشتها إلزامياً في أول جلسة تلي تاريخ تسجيل الاقتراحات قانوناً والبت بها.

بعض أعضاء المجلس يعتبرون اقتراح ترزيان «طائفياً وعنصرياً، ويضرب المناصفة مع اعتماد الأحياء غير المقسّمة طائفياً أصلاً، ما يرجّح وصول عدد أكبر من الأعضاء المسلمين على حساب المسيحيين». فيما يرى آخرون أنه يزيد الخلافات مع إدخال المجالس المحلية تحت مظلة العلاقة الملتبسة بين البلدية والمحافظ، فضلاً عن أن «لا ضرورة لأعضاء المجلس المحلي طالما أنّ مخاتير الأحياء يُمكنهم إيصال صوت ناخبيهم إلى المجلس البلدي».

يدافع ترزيان عن اقتراحه بأنه «يعطي تمثيلاً صحيحاً في الانتخابات البلدية المقبلة، كما يضفي حيوية على العمل البلدي بسبب تضمّنه كوتا للنساء والشباب». وهو ينطلق من «تجربة بلدية طويلة ومعرفة دقيقة بحاجات البلدية ومآسي المواطنين»، مشيراً إلى وجود تباعد كبير بين أعضاء المجلس والمواطنين. وبالتالي، «اقترحتُ إيجاد مجلس يحلّ هذه الآزمة، وخصوصاً أن بعض الأعضاء لا يعملون بالشكل المطلوب، بينما انتخاب 60 عضواً يؤمن العمل البلدي اللازم». ولفت إلى أن «أعضاء مجالس الأحياء، سيكونون أكثر قرباً من الناس وهواجسهم وسيلمسون مشاكلهم من أجل اجتراح الحلول»، موضحاً أن «لا علاقة للمخاتير بالمجالس البلديّة، ولو كان الأمر كذلك لماذا لا يقومون بهذا الدور؟». وإذ أقرّ بوجود هواجس تتعلّق بالمناصفة في الانتخابات البلدية المقبلة، «لكنني لا أعيش فيه. ولا صلة لذلك باقتراح القانون الذي تقدّمت به من قريب أو بعيد».

تقرير

تحرّك أساتذة الهرمل يشعل انتفاضة: التعليم الرسمي يومان أسبوعياً

فوّاد بزي

أشعل تحرّك فرع بعلبك - الهرمل في رابطة التعليم الثانوي، فتيل التحرّكات في مختلف المناطق. ففيما العملية التعليمية متوقفة في معظم ثانويات الهرمل منذ مطلع هذا الأسبوع، في تحرّك منفرد بعيد عن الهيئة الإدارية للرابطة وغير منسّق إلا مع أساتذة ثانويات المنطقة، تتمدّد الاحتجاجات لتشمل معظم الثانويات في بقية المناطق. ووسط هذا الصخب الاحتجاجي، بعمّ الهيئة الإدارية للرابطة صمت مريب، فبحسب أحد أعضائها «لم نجتمع منذ 15 يوماً».

وكان اجتماع روابط التعليم (الأساسي، الثانوي والمهني) أول من أمس، قد حرّك المياه الراكدة، بعد اتخاذ قرار بـ«التوقّف القسري»، وتقليص الدوام عبر «الحضور إلى المدارس والثانويات والمعاهد ليومين أسبوعياً فقط». ورأى المجتمعون «أن التحرّك الحالي بمثابة تحذير قبل عطلة الميلاد».

سيف الاستدعاءات

رغم ذلك، لم تمرّ انتفاضة الأساتذة في بعلبك - الهرمل من دون ضغوط تمارسها عليهم القوى الفاعلة في المنطقة لقمع التحرّك وإنهائه، مع مساندة من مديرية التعليم الثانوي في وزارة التربية عبر «استدعاء الأساتذة المحرّضين على الإضراب إلى بيروت للاستجواب». وتصل هذه الطلبات إلى الثانويات عبر «الواتساب» لتعذّر نقل البريد عبر المناطق بسبب غلاء الوقود. يردّ أحد الذين تستدعيهم مديرية الثانوي، النقابي حسن مظلوم (أستاذ في ثانوية أديب سليمان)، برسالة «يعتذر فيها عن عدم الحضور من بعلبك إلى بيروت لأنّ تكلفة الزيارة تتجاوز المليون ليرة، والراتب لا تتجاوز قيمته الثلاثة ملايين ليرة». ويطلب من «أركان الوزارة المثول أمام الأساتذة بعد سنتين من القهر كي يردّوا على التهم الموجهة إليهم».

وفي الإطار نفسه، يحذّر مقرّر فرع بعلبك الهرمل علي خليل الطفيلي من «المسّ بالأساتذة وإيذائهم من خلال توجيه العقوبات لهم، فالردّ سيكون بالتصعيد إلى أقصى الحدود». أما الأساتذة المتضامنون مع زملائهم فيذهبون أبعد في التحدّي، ويعتبرون صراحة «لتحسم الوزارة هذه الليرات القليلة، المعركة أصبحت على كرامتنا»، ويؤكّدون «استعدادهم لمرافقة أيّ أستاذ يستدعى إلى وزارة التربية بحجة التحريض على الإضراب».

الفروع تصعّد

خلال السّاعات الماضية، وتحت ضغط الأساتذة في الثانويات، تجتمع الفروع في المناطق، وتصدر بيانات تطالب فيها الهيئة الإدارية بتنفيذ ما وعدت به مطلع العام الدراسي الحالي، فـ«إما التقديمات كاملة (مضاعفة الرواتب، الحوافز 130$، والمتأخرات)، أو التصعيد». وتأتي هذه التحرّكات بعد اجتماع رئيسة الرابطة الأسبوع الماضي مع الفروع، وتحذيرها من مغبة الانفراد ومخالفة الأنظمة والقوانين الداخلية، على أمل أن لا يعمّم تحرّك فرع بعلبك - الهرمل، إلا أنّ الاجتماعات تجري في معظم الفروع، حتى تلك المحسوبة على الهيئة الإدارية كالنبطية والجنوب وبيروت.

أمّا فرع عكار، فذهب أبعد من البيانات التحذيرية والمطلبية، وفنّد بالتفصيل ما وعدت به الهيئة الإدارية ولم ينفّذ من «مضاعفة رواتب، وحوافز، وبدلات نقل»، وطلب صراحة من أساتذة المنطقة التصويت على «التوقف عن العمل ابتداءً من يوم الاثنين المقبل»، ومن الهيئة الإدارية «الدعوة إلى جمعيات عمومية والتصويت على توصية واضحة وصريحة بالإضراب المفتوح حتى تحقيق الوعود»، كما لم ينس الفرع تذكير الهيئة الإدارية بواقعة «إلغاء نتائج التصويت على تفويضها بالتحرّك مطلع العام الحالي، والذي كانت نتيجته لا تفويض». وفي عاليه، لم ينتظر الأساتذة حتى فرع المنطقة للاجتماع، فتداعوا وأعلنوا التوقف الكامل عن العمل، وتوقفت بالتالي ثانويات المنطقة العشر عن التعليم إلى حين تنفيذ الوعود المقطوعة.

حتى الضاحية الجنوبية، دخلت على خط التحرّكات هذه المرّة. ويحذو أساتذتها حذو زملائهم في المناطق، إذ لم ينتظروا الهيئة الإدارية أو فرع جبل لبنان، بل يتداعى الأساتذة بشكل فردي في الثانويات للإعلان عن «التوقف عن الحضور». وفي ثانويات العاصمة، تحرّكات خجولة ولكن فعالة لناحية التأثير والتحدّي لقربها من المركز، أي وزارة التربية، ووجود بعض أعضاء الهيئة الإدارية فيها كمديري ثانويات وموظفين في الوزارة. افتتحت التحرّكات الاعتراضية فيها ثانوية زاهية سلمان، حيث قرّر الأساتذة التعليم ليومين أسبوعياً وسط معارضة مديرها العضو في الهيئة الإدارية، والتحق بها عدد آخر من الثانويات.

صناديق الثانويات لن تدفع

تبحث وزارة التربية عن أيّ طريقة لتهدئة الأساتذة، بعدما اتضح عدم وجود حوافز اجتماعية ($130) وعد بها الوزير، فبشيع بعض موظفي الوزارة عن قرب دفع هذه المبالغ من صناديق الثانويات. وبعد مراجعة «الأخبار» لعدد من مديري الثانويات، تبيّن «أنّ هذه الصناديق لا يمكنها أن تتحمّل دفع هذه المبالغ شهرياً»، بالإضافة إلى «عدم وصول أموال الدعم من الجهات المانحة إليها، مع وعد بتغذيتها الشهر المقبل». ويذكر مدير ثانوية في منطقة جبل لبنان «أنّ هكذا مقترح سيكلّف صندوق ثانويته 7020$ شهرياً، ما يقارب 56 ألف دولار سنوياً، فيما الصندوق لا يحوي أكثر من 150 مليون ليرة (حوالي 3500$ على سعر اليوم)».

(هيثم الموسوي)

تقرير

لافتة أمام مبنى آيل إلى السقوط تربك سكانه: لماذا الآن؟

صيدا ـ علي حشيشو

في قلب الخطر ينام سكان بناية بدير وحمدان، عند البوابة الفوقا في صيدا. فالمبنى الذي يقيمون فيه آيل إلى السقوط كما تشير اللافتة التي علّقها عمال البلدية قبل يومين أمام المبنى (1089 / الدكرمان) طالبة منهم إخلاءه فوراً. تعود القضية إلى خمس سنوات إلى الوراء، عندما ظهرت تصدّعات كبيرة في أعمدة البناية التي تتألف من 8 طبقات وتضم 24 شقة سكنية وعيادات ومحال تجارية. أنذرت البلدية حينذاك السكان بالإخلاء، وتوسّطت لهم مع الهيئة العليا للإغاثة، التي أرسلت مهندسيها وأجروا كشفاً على البناية وخلصوا إلى ضرورة إجراء أعمال تدعيم لا بعد أربع سنوات على ظهور التصدّعات، ويقول لـ«الأخبار» «إن السكان لم يشعروا بأي خطر داهم مؤخراً من قبيل سماع «طقطقة» أو رؤية تشققات جديدة لتبرير استفاقة البلدية»، متخوّفاً من أن يكون هدف التحذير «رمي الناس في الشارع». ودعا حبيش البلدية إلى مراجعة الهيئة العليا للإغاثة لتنفيذ خطة الترميم التي وضعها مهندسوها، متسائلاً عن سبب عدم إنذار البلدية سكان جميع الأبنية الآيلة إلى السقوط والمعروفة في صيدا، معلناً أن لجنة من القاطنين في البناية ستجول سريعاً على فوجدوا أنفسهم مضطرّين إلى العودة والسكن في المبنى الخطر.

تظهر جولة على المبنى بوضوح التشققات في الجدران عند المدخل، وتاكلاً في الخرسانة في بعض الجسور، وانكشاف القضبان الحديدية في الأعمدة التي تحمل المبنى الذي يشغل طبقته السفلى فرن آلي كبير يرسل حرارته إلى المدخل والطبقات المنخفضة.

لا تقتصر مخاطر انهيار المبنى المذكور على الأرواح التي تقطنه ومنها الأطفال، بل يتعدّاه إلى الأبنية الملاصقة له وللشارع الرئيس المحاذي الذي يربط ساحة الشهداء بساحة النجمة والذي تتزاحم فيه يومياً آلاف السيارات. يستغرب أحد المالكين، يحيى حبيش، تعليق البلدية اللافتة بعد أربع سنوات على ظهور التصدّعات، ويقول لـ«الأخبار» «إن السكان لم يشعروا بأي خطر داهم مؤخراً من قبيل سماع «طقطقة» أو رؤية تشققات جديدة لتبرير استفاقة البلدية»، متخوّفاً من أن يكون هدف التحذير «رمي الناس في الشارع». ودعا حبيش البلدية إلى مراجعة الهيئة العليا للإغاثة لتنفيذ خطة الترميم التي وضعها مهندسوها، متسائلاً عن سبب عدم إنذار البلدية سكان جميع الأبنية الآيلة إلى السقوط والمعروفة في صيدا، معلناً أن لجنة من القاطنين في البناية ستجول سريعاً على

> **تم صرف مبلغ 2000 دولار لكل قاطن ولم يحصل الترميم**

فعاليات صيدا لوضع الجميع أمام مسؤولياتهم.

بدورها، تستغرب سيدة مستأجرة، من آل الجنزوري، قرار البلدية بالإخلاء الفوري من دون تقديم أي مساعدة للسكان. تقيم السيدة مع والدتها المقعدة، وتؤكد عدم قدرتها على تأمين كلفة الانتقال إلى مكان جديد «نحنا يا دوب عم نقدر نامن أكلنا وشربنا». وتخوفت الجنزوري من «صفقة تجارية تقضي بإخلائنا، ومن ثم إجبار المالكين على بيع شققهم بأسعار بخسة لمصلحة أحد المقاولين الكبار».

يبرّر رئيس البلدية محمد السعودي الخطوة بكتاب مرفوع من وزارة الداخلية «للتنسيق مع القوى الأمنية لإخلاء المباني المتصدّعة والآيلة إلى السقوط والتقيّد بأحكام المادة 18من قانون البناء 646/ 2004». وحمّل السعودي السكان مسؤولية عدم الإخلاء قبل خمس سنوات، متجاهلاً تقاعس الهيئة العليا للإغاثة عن القيام بأعمال الترميم اللازم وإزالة الخطر. واكتفى في بيانه بالدعاء «حمى الله صيدا وأهلها من كلّ مكروه!».

حتى وقوع ذلك المكروه، يصرّ السكان على عدم الإخلاء مفضّلين الموت تحت الركام على الذلّ والارتماء في الشارع.

على صوتك

مَن يموّل التعليم الرسميّ في لبنان؟

نعمه نعمه *

العشوائية وعدم الوضوح صارا من سمات وزارة التربية في الفترة الأخيرة، حيث لم يعد بإمكان المعلمين والمعلمات الوصول إلى مراكز عملهم، وهو شرط أساسي لتحقيق حق الوصول إلى التعلّم. لم تصدُق الحكومة يوماً بوعودها، والبعض يريد تحميل المعلمين وزر تعثر عام دراسي رابع. فمن غير المنطقي أمام عجز المعلمين عن التنقل وتأمين الغذاء والدفء لأسرهم، أن نطالبهم بالحضور إلى مراكز عملهم، علماً أن الأموال المتدفّقة على التعليم بمقدورها أن تجعل حياتهم وحياة التلامذة أكثر أماناً ودفئاً.

بحسب البنك الدولي، تشكل موازنة وزارة التربية للتعليم ما قبل الجامعي من رواتب وملحقاتها للملاك والمتعاقدين وموظفي الوزارة نحو 64% من اعتمادات الوزارة، فيما توزع 21% على المنح المدرسية، و6% على الأبنية والإنشاءات، و2% على المركز التربوي للبحوث والإنماء، و7% على المدارس شبه المجانية. أما المبلغ فهو نحو 1.6 ألف مليار ليرة للسنوات السابقة من دون احتساب المنح والمساعدات المختلفة من الدول المانحة.

بعد عام 2019، واشتداد الأزمة المالية وانهيار العملة صار متوسط العملة الوطنية نحو 28 ألف ليرة للدولار الواحد، ويمكن القول إنه خلال السنوات الثلاث الماضية تقلّصت موازنة التعليم ما قبل الجامعي بالعملة الأجنبية إلى 58 مليون دولار فقط، تبلغ حصة الرواتب منها 35 مليون دولار، وكنا قد سمعنا في العام الماضي عن المساعدة البريطانية بقيمة 37 مليون دولار التي قُضمت بسعر المنصة وضياع بعضها في النظام الإلكتروني المعطل، و30 مليون دولار لهذه السنة. تُضاف إلى ذلك، الأرقام المخصّصة للإنشاءات والتي نشرها مركز الدراسات اللبنانية، وهي 270 مليون دولار خلال خمس سنوات، وحصة المدارس المجانية التي تمتنع الدولة عن تسديدها والمركز التربوي المموّل من مشروع S2R2 عدا امتناع الدولة عن تسديد حصتها للضمان الاجتماعي وغيره. فعلياً، يتعذّر تمويل الجامعة اللبنانية فقط.

هذا يعني بصورة واضحة وصريحة أن الدولة لا تنفق على التعليم من خزينتها، بل من قيمة رواتب المعلمين والمعلمات، وأن المساعدات التي تصل إلى 250 -300 مليون دولار للتعليم سنوياً تكفي رواتبَ مدعومة لسائر الموظفين والمتعاقدين.

وبحسبة بسيطة، تتلقى مدارس بعد الظهر نحو 100 مليون دولار (بسعر 28 ألف ليرة للدولار). ولدينا نحو 5500 مستعان بهم للتعليم، وتبلغ حصة المعلم/ة 40 ألفاً، أي أن مجموع الإنفاق على تعليم بعد الظهر لا يتعدى 5 ملايين دولار. رواتب لكلّ المستعان بهم، يُضاف إليها مصارفات تشغيلية. ولا يمكن أن يتعدى إنفاق المدارس بعد الظهر 20 مليون دولار في السنة الدراسية. هناك على الأقل 80 مليون دولار من المفترض أن يذهب القسم الأكبر منها لرواتب المعلمين تقتضمه الدولة لتموّل خزينتها.

المعلمون والمعلمات يموّلون خزينة الدولة، فالرواتب والمساعدات المخصّصة لهم تتحوّل إليها لتمويل مجموع رواتب الإدارات العامة أو جيوب البعض. فلا مصادر تمويل وجباية وإيرادات في الدولة اللبنانية إلا قطاع التربية والتعليم من الجهات المانحة كذلك الصحة والدعم الاجتماعي لوزارة الشؤون المتعثرين. لكنّ المساعدات الأكبر حجماً تأتي لقطاع التعليم وقد تجاوزت 2,1 مليار دولار منذ عام 2016.

لا بد للحكومة والسياسيين أن يدركوا أن تعثر العام الدراسي للسنة الرابعة سيعطل تدفق أموال دعم التعليم، ولن يكون بمقدورهم تمويل مسيراتهم السياسية الفاسدة ولا التحكم بمصائر العباد، بل عليهم أن يقفوا تبجيلاً للمعلمين والمعلمات ويغدقوا عليهم بالمساعدات، فبسببهم يحصل الوزراء والنواب على رواتب كما الزعماء، على سلطتهم ونفوذهم.

*باحث في مركز الدراسات اللبنانية

خروج برازيلي من الباب الضيق
الأرجنتين تحمل آمال أميركا الجنوبية

كانت كرة القدم أمس قاهرة وممتعة في آن. خسر المونديال لقاء مرتقبيْ بين البرازيل والأرجنتين في نصف النهائي حين خرجت البرازيل على يد كرواتيا بركلات الترجيح. وتأهلت الأرجنتين على حساب هولندا في السيناريو عينه. ليتواجه المنتخبان في نصف النهائي يوم الثلاثاء المقبل

حسين سقور

هنيت البرازيل بنكسة جديدة وخرجت من المونديال (الدوحة ـ طلال سلمان)

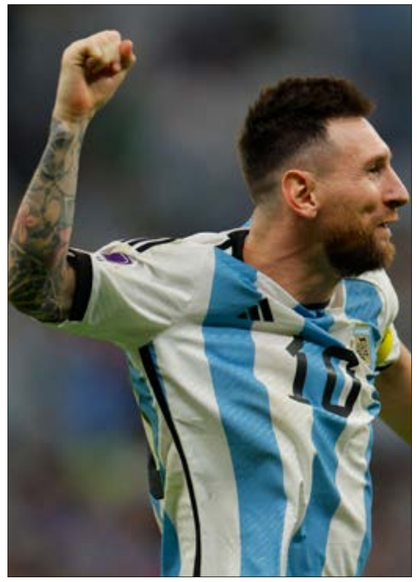
اكمل ميسي طريقه نحو اللقب (أ ف ب)

إذا كان خروج ألمانيا من الدور الأول لمونديال قطر قد شكّل صدمة لجماهير كرة القدم، فإن خروج البرازيل يوم أمس، أحدث «زلزالاً» وصلت ارتداداته إلى ساو باولو وريو دي جينيرو وكل العالم...

سيناريو كارثي شهدته مباراة «السيليساو» مع كرواتيا ضمن الدور ربع النهائي من منافسات كأس العالم. ودّعت البرازيل المونديال من الباب الضيق، بعد الخسارة بركلات الترجيح (4 ـ 2) عقب انتهاء الوقتين الأصلي والإضافي بالتعادل (1 ـ 1). هو الخروج الرابع للبرازيليين في النسخ الخمس الأخيرة من الدور ربع النهائي، لتتأكد العقدة، ويتأكد معها شيء واحد، هو أن البرازيل تحتاج إلى أكثر من الأسماء والنجوم، هي تحتاج إلى الروح التي افتقدتها منذ اعتزال الجيل الذهبي المتمثل برونالدو دا لما، وروبرتو كارلوس وكافو وكاكا ورونالدينيو... وغيرهم من «عباقرة الكرة» الذين أهدوا بلاد كرة القدم النجمة الخامسة على قميصها

> تأهلت الأرجنتين في مباراة مجنونة حسمتها ركلات الترجيح

عندما خسرت أمام فرنسا (2-1)، ثم في النسخة الماضية والتي خسرت فيها أمام فرنسا أيضاً في النهائي (4-2).

التاهل الكرواتي علّق عليه الحارس البرازيلي، ليتاكو المؤكد، بأن الفنيات المواجهة، قائلاً: «نحن فريق يتمتع بالخبرة ونشأنا كمقاتلين. لا نبخل بأي جهد. نحن نقدم أفضل ما لدينا وهذه هي الوصفة من أجل النجاح. أشكر المشجعين الكروات، لقد ساندونا طيلة المباراة. الآن، سنتعامل مع كل مباراة على حدة، وسنرى إلى أين سيوصلنا ذلك».

الروح القتالية هي التي افتقدتها البرازيل، ليتاكو المؤكد، بأن الفنيات وحدها لا تأتي بكأس العالم. المونديال يحتاج إلى جهد وتفانٍ وتضحية، ويحتاج أيضاً إلى تكتيك وألعاب جماعية، وهو ما غاب عن منتخب السحر الذي ظهر في المونديال الثالث تواليا وكأنه يعتمد فقط على نيمار، الذي عادل عدد الأهداف الدولية التي سجلها مواطنه الأسطورة بيليه بـ77 هدفاً، ولكنه ودّع المونديال، وبالتالي فإن الأرقام الفردية لن تنفع.

وتعليقاً على الخروج قال لاعب وسط البرازيل كازيميرو: «من الصعب إيجاد الكلمات. يجب أن نرفع رؤوسنا، تستمر الحياة. نحن حزينون. نشعر بالضيق، بخاصة الطريقة التي خسرنا بها، كان الفوز بأيدينا، لكننا فرطنا به وكان من نصيب الكروات. إنه إقصاء صعب. كنا نؤمن بالعمل، كنا نقوم بعمل رائع، كان هناك جو جيد، لكن هذه أشياء تتعلق بكرة القدم، هذا يحدث. الآن سنرفع رؤوسنا وتستمر الحياة».

انتهت الحكاية البرازيلية باكراً، وعلى أثرها أنهى المدرب تيتي مشواره معلناً استقالته، لتبدأ من اليوم عملية إحصاء الأضرار والتحضير للمستقبل.

ميسي يُكمل طريقه

أنقذت الأرجنتين قارة أميركا الجنوبية وأبقتها حاضرة في المونديال بعد فوز منتخب التانغو على الطواحين الهولندية بركلات الترجيح بعد التعادل 2-2 في الوقتين الأصلي والإضافي. مباراة مجنونة بكل ما للكلمة من معنى. فالأرجنتينيون تقدموا بهدفين عبر ناهويل مولينا (35)، وليونيل ميسي من ركلة جزاء (73). إلا أن البديل فاوت فيخهورست قلّص الفارق في الدقيقة 83 قبل أن يسجل هدف التعادل في الدقيقة الحادية عشرة من الوقت بدل الضائع (90+11). سيناريو سيبقى محفوراً في ذاكرة كل من شاهد المباراة وحبس أنفاسه على مدى 130 دقيقة وأكثر حين ذهبت المباراة إلى ركلات الترجيح التي ابتسمت للأرجنتين عن استحقاق بعد تألق حارسهم مارتينيز ولاعبي التانغو الذين عرفوا كيف يتعاملون مع ركلات «الموت».

سيناريو درامي في مباراة شكّلت علامة مضيئة في سماء مونديال قطر مهمداً للمزيد من الإثارة في الأمتار الأخيرة من كأس العالم.

سفيان أمرابط:
الرئة الثالثة لمنتخب المغرب

مشوار مشرّف يسجله منتخب المغرب في نهائيات كأس العالم. وصول تاريخي إلى ربع النهائي، جاء بفعل جهود الجميع من لاعبين وجهاز فني. لكن لاعباً محدداً كان له أثر كبير على توازن وأداء الفريق ككل. هو قائد الوسط سفيان امرابط

حسين فحص

كان امرابط عنصراً اساسياً في بلوغ منتخب بلاده دور ربع النهائي (غلين كيرك ـ أ ف ب)

قبل انطلاق بطولة العالم تركزت الأنظار على حكيم زياش وأشرف حكيمي لقيادة المغرب في العرس الكروي الكبير. ولكن بعد تجاوز «أسود الأطلس» لمنتخب إسبانيا في دور الستة عشر، خطف سفيان امرابط الأضواء.

ولد أمرابط في مدينة هويزن الهولندية في 21 آب من العام 1996، وهو الأخ الأصغر للاعب نور الدين الذي تألق في مونديال 2018. بدأ سفيان مشواره الكروي منذ 2007 في أكاديمية نادي أوترخت الهولندي، وشارك في كأس العالم للناشئين بالإمارات العربية المتحدة عام 2013 رفقة المنتخب المغربي لأقل من 17 سنة. انتقل بعدها إلى نادي فينورد روتردام حيث حقق عام 2018 كأس هولندا وكأس السوبر الهولندي مرتين، ثم إلى كلوب بروج المتوج معه بلقب الدوري، فنادي هيلاس فيرونا، آخر محطاته كانت في فيورنتينا، منذ عام 2020.

قدم أمرابط أداء رائعاً في البطولة الحاليّة، وكان عنصراً أساسياً في بلوغ منتخب بلاده الدور ربع النهائي. ظهر تأثيره الواضح أمام إسبانيا في دور الـ16، حيث سيطر على خط وسط «الماتادور».

ولعب «النجم المقاتل» تلك المباراة متحاملاً على نفسه إثر إصابة تعرّض لها قبل الصافرة بساعات قليلة. علّق أمرابط على ذلك قائلاً «لا يمكنني التخلي عن اللاعبين وبلدي»، وهو ما عاد عليه بإشادة العديد من نجوم ونقّاد الرياضة.

أمرابط هو الرئة الثالثة لأسود الأطلس. يشبه إلى حد كبير أسلوب لعب متوسط الميدان الفرنسي انغولو كانتي. يتواجد في كل أنحاء الملعب. يساند الدفاع ويقطع الكرات من لاعبي المنتخبات المنافسة. هو ببساطة اللاعب المتكامل.

> تلعب المغرب مع البرتغال الساعة 17:00 فيما تواجه فرنسا إنكلترا الساعة 21:00 بتوقيت بيروت

وما هو لافت، عدم تلقّي شباك المغرب سوى هدف واحد خلال المونديال الحالي، وهو جاء بالنيران الصديقة خلال البطولة، وكان لوجود إمرابط في نصف الملعب دور بارز في ذلك.

بعيداً من أهميته الفنية في تشكيلة المدرب وليد الركراكي، كان لقتالية أمرابط في المباريات تأثير واضح على تحسين أداء زملائه. تألقه اللافت جذب اهتمام كبار الأندية في أوروبا، أبرزها ليفربول الإنكليزي، وذلك بحسب تقارير صحافية إنكليزية، حيث كشفت صحيفة «ميرور» البريطانية أن المدرب يورغن كلوب عقد اجتماعاً مع وكلاء اللاعب المغربي في محاولة إبرام صفقة لملاعب خط الوسط.

سيحاول أمرابط الاستمرار بدائه الحيوي أمام البرتغال الليلة الساعة 17:00 بتوقيت بيروت، ومعه بقية اللاعبين المغاربة. هو اختيار صعب أمام منظومة هي الأكمل إلى جانب فرنسا، من حيث العناصر الأساسية والاحتياطية في كل الصفوف. لكن، يبقى المغرب قادراً على بلوغ الدور نصف النهائي نظراً لأدائه وعزيمته الواضحة منذ بداية البطولة.

قمة فرنسية ـ إنكليزية

وتتجه الأنظار الليلة (الساعة 21:00) إلى ملعب البيت في قطر، الذي يستضيف قمّة ربع النهائي الثانية بين فرنسا وإنكلترا. وفي وقت يعول الفرنسيون على النجم الشاب كيليان مبابيه، صاحب الأهداف الخمسة حتى الآن في المونديال، سيعتمد الإنكليز على خط هجوم قويّ يتقدمه هاري كاين، إضافة إلى ماركوس راشفورد وفيل فودن وجاك غريليش وبوكايو ساكا، وحتى رحيم سترلينغ العائد إلى صفوف المنتخب أخيراً.

على الورق يبدو المنتخبان متقاربين جداً من حيث المستوى والأسماء. فرنسا وصلت إلى دور الـ16 بعد تخطيها بولندا بنتيجة (3 ـ 1)، أما إنكلترا فبلغت هذه المرحلة بعد فوز بثلاثية نظيفة على السنغال.

ولكن المواجهات التاريخية تبتسم للإنكليز، على اعتبار أن المنتخبين لم يلتقيا إلا مرتين على المسرح الدولي. وكانت المباراة الأولى عام 1966 عندما فازت إنكلترا بثنائية، وكررت ذلك في 1982 بنتيجة (3-1).

أرقام
كأس العالم

عدد المباريات
58
عدد الأهداف
154
معدّل الأهداف
2.66 في المباراة
عدد الهدافين
109
أفضل هدّاف
كيليان مبابي
(فرنسا) 5
أفضل صانع أهداف
هاري كين
(إنكلترا)
برونو فيرنانديس
(البرتغال)
3
الشباك النظيفة
36

إعلان

عملاً بقرار مجلس الوزراء رقم ١ الصادر بتاريخ ٢٠١٠/٣/٢١ بالموافقة على ورقة سياسة قطاع الكهرباء، وبقرار مجلس الوزراء رقم ١ الصادر بتاريخ ٢٠١٩/٤/٨ بالموافقة على ورقة سياسة قطاع الكهرباء المحدّثة، وبقرار مجلس الوزراء رقم ٨ الصادر بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٦ بالموافقة على الخطة الوطنية للنهوض المستدام بقطاع الكهرباء في لبنان والتي اشتملت كلّها على تعيين الهيئة الناظمة لقطاع الكهرباء في لبنان، وفي ضوء الدراسات التي سبق أن أجريت على القانون ٢٠٠٢/٤٦٢، بموجب القانون ٢٠١١/١٨١، وتنفيذاً لمتطلبات الخطة لجهة مراجعة القانون وتحديثه والتي خدّت بالوزارة الى القيام بدراسة معمقة أفضت الى ضرورة عدم التفاضي عن إدخال التحديثات والتطويرات اللازمة لأحكامه بما يؤمن معالجة الثغرات الكامنة فيها، خصوصاً لناحية توضيح وفصل الصلاحيات بين الهيئة المنوط بها نظم القطاع عبر اصدار التراخيص ووضع التعرفة وغيره من الادوات الناظمة من جهة والدولة التي تبقى مسؤولة عن وضع سياسة القطاع وتحديد اطار مشاركة القطاع الخاص وصولاً الى التعاقد معه من جهة أخرى، والتشديد على إلزاميّة تعديل عدد أعضاء الهيئة ليصبح ٧ بدل ٥ كما جاء في القانون تماشياً مع مقتضيات الميثاقية والدستور الذي ينص على المناصفة في وظائف الفئة الاولى أو ما يعادلها.

وبعد اجراء عدة دراسات وورش عمل بالتعاون مع فريق البنك الدولي في لبنان ومنظمة MEDREG التي تضم الهيئات الناظمة في بلدان حوض البحر الابيض المتوسط والتي افضت الى وضع الهيكل التنظيمي لإدارة الهيئة وتوزيع الادوار فيها بناءً على الممارسات العالمية المثلى، وهو ما يوجب اختيار أفضل الخبرات في المجالات التقنية والمالية والقانونية والبيئية وغيرها،

ورغبةً منّا باطلاق اجراءات التوظيف لأعضاء الهيئة على وجه السرعة، وهو الشرط الوحيد المتبقّي حسب البنك الدولي والأسرة الدولية لتمويل تنفيذ الاتفاقيات التي أُنجزت مع مصر والاردن وسوريا لتوريد الغاز والكهرباء. وبينما يتم النظر والبت بالتعديلات اللازمة على القانون من قبل السلطة التشريعية لكي يُصار عندها الى تعيين الهيئة تنفيذًا لمندرجات القانون ٢٠١١/١٨١ (المادة الأولى، الفقرة السابعة) بأعضائها الستة المفترحين،

لكل ذلك، وللضرورة والفائدة،

تعلن وزارة الطاقة والمياه عن فتح باب الترشّح لإختيار اعضاء الهيئة الناظمة للقطاع الكهرباء في لبنان، على أن يتقدّم المرشحون، كلٌ بحسب اختصاصه، بالمستندات المذكورة في الملحق المرفق بهذا الإعلان على البريد الالكتروني:

recruitERA@energyandwater.gov.lb

وذلك حتى تاريخ ٣١ كانون الثاني ٢٠٢٣.

على الراغبين بالتقدّم بطلبات الترشّح لزيارة الموقع الرسمي لوزارة الطاقة والمياه للإطلاع على الشروط والمستندات المطلوبة: www.energyandwater.gov.lb

يجري تقييم الملفات من قبل لجنة يعيّنها وزير الطاقة والمياه وتضم ممثلين عن الإدارة الى جانب خبراء محلّيين وعالميين في هذا المجال.

بيروت في 9/12/2022

وزير الطاقة والمياه - د. وليد فياض

دعوة الى جمعية عمومية عادية

يدعو مجلس إدارة الرعاية (الصندوق التعاضدي للرعاية الصحية والإجتماعية) الأعضاء إلى حضور الجمعية العمومية العادية التي ستنعقد في تمام الساعة الحادية عشر من قبل ظهر يوم الخميس الواقع في الثاني والعشرون من شهر كانون الاول ٢٠٢٢ وذلك في مقر الرعاية Centre Triplet بلوك B في الحازمية، مار تقلا، شارع سعيد فريحة.

جدول أعمال الجلسة:

- شراء بناء لتأهيل بيت راحة للمسنين

وفي حال عدم اكتمال النصاب في الموعد المحدد تنعقد الجمعية في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس الواقع فيه الثاني والعشرون من شهر كانون الاول ٢٠٢٢ في المكان نفسه وعندها يعتبر النصاب مكتملاً بمن حضر.

رئيسة مجلس الإدارة الأخت أنطوانيت باسيل

تقرير

على رغم الرسائل الواضحة التي حملها الترحيب الفاخر بالرئيس الصيني، شي جين بينغ، في الرياض، والذي أُعدّ خصّيصاً، ومنذ وقت طويل، لمناقض الاستقبال الباهت الذي لقيه الرئيس الأميركي، جو بايدن، في جدة، في تموز الماضي، إلّا أن أيّ نقلة كبرى في العلاقات الصينية - السعودية، من النوع الذي يُخرج الأميركيين عن طورهم، لم يَجرِ تسجيلها واقعاً. على رغم ذلك، فإن تارجح أسعار النفط في منطقة مريحة نسبياً لواشنطن، ربّما يوشّر الى استمرار سريان الاتفاق الذي قيل إنه جرى التوصّل إليه سرّاً ويقضي بمنح وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، حصانة قضائية في الولايات المتحدة، مقابل خفض سعر الخام

حصاد قِمم الرياض
مكسب صيني مضمون... «أرباح» سعودية مشوّشة

السعوديون يسعون إلى تعظيم المردود السياسي لزيارة شي (أ ف ب)

حسين إبراهيم

بمعزل عمّا يمكن أن تصل إليه زيارة الرئيس الصيني، شي جين بينغ، إلى السعودية، وما إذا كان من المبالغة القول إنها تشكّل نقطة تحوّل في موقع هذه المنطقة النفطية من التحالفات العالمية أم لا، فإنها تمثّل حدثاً كبيراً بحدّ ذاتها، لا في سياق ما صار يُعرف حالياً بالصراع بين الإدارة الأميركية وبين النظام السعودي فحسب، وإنّما أيضاً في سياق تعزيز بكين حضورها في مزيد من المناطق التي كانت حكراً على الأميركيين حتى وقت قريب. ففي تعليقها على زيارة الثلاثة أيام التي شملت ثلاث قمم للرئيس الصيني مع القيادة السعودية وقادة دول الخليج والقادة العرب، قالت الولايات المتحدة إنها مدركة محاولات الصين توسيع نفوذها في العالم. ومع ذلك، لم يجرِ، أقلّه خلال القمم الثلاث، الإعلان عن أيّ أمر بالغ الاستفزاز للأميركيين، من نوع مبيعات أسلحة حسّاسة محسومة أو مشاركة صينية مثبتة في بناء معامل للصواريخ البالستية أو الطائرات المسيّرة أو الطاقة النووية في السعودية (على رغم أن ثمّة شكوكاً أميركية في وجود مثل هذا التعاون)، أو اعتماد اليوان جزئياً أو كلّياً في مبيعات النفط السعودية لبكين، والتي تبلغ 1,8 مليون برميل يومياً، أي ما يعادل ربع الاستهلاك الصيني.

وإذا كان يمكن الحديث عن موضوع حسّاس في الاتفاقات الصينية - السعودية، فهو الاتفاق بين المملكة وشركة «هواوي»، الذي يشمل الحوسبة السحابية وبناء مجمعات ذات تكنولوجيا عالية في المدن السعودية. وهذا يأتي على خلفية تحذيرات أمنية أميركية من أن التجهيزات الصينية، من مثل التي تُصنعها «هواوي»، يمكن استخدامها للتداخل مع شبكات الجيل الخامس اللاسلكية والحصول على معلومات حسّاسة. ومع ذلك، ساهمت الشركة الصينية في بناء شبكات الجيل الخامس في معظم الدول الخليجية. أمّا تطور الشراكة التجارية بين الصين من جهة، والسعودية ودول الخليج والدول العربية عموماً من جهة أخرى، فتفرضه الحاجات المتبادلة للأطراف، وهي ضخمة أصلاً وليست بحاجة إلى زيارات لإثباتها، وإن كانت إمكانات تعظيمها موجودة، خاصة وأن خزائن الخليج فاضت خلال السنتَين الماضيتَين بالسيولة التي تبحث عن فرص للاستثمار بعد ارتفاع أسعار النفط. وللمقارنة، بلغت قيمة الاتفاقات الصينية - السعودية، خلال الزيارة الحالية، 30 مليار دولار، بينما وُقّعت اتّفاقات خلال زيارة الملك سلمان إلى الصين عام 2017 بقيمة 65 مليار دولار، علماً أنه آنذاك كان دونالد ترامب لا يزال في السلطة، والعلاقات الأميركية - السعودية أفضل كثيراً ممّا هي عليه اليوم.

بالتأكيد، يسعى السعوديون إلى تعظيم المردود السياسي لهذه الزيارة التي طبّلوا وزمّروا لها طويلاً، لتوجيه رسالة مباشرة إلى الأميركيين في زمن الخلاف الكبير معهم، وتحديداً مع الإدارة الديموقراطية الحالية، بأن التحالفات البديلة موجودة إن هم قرّروا سحْب الضمانة الأمنية التي ما زالوا يوفّرونها للنظام السعودي وإخوته في الخليج. لكن المشكلة الحقيقية بالنسبة إلى السعودية، بعد الزيارة كما قبلها، تبقى في تراجع مكانتها ومكانة الشرق الأوسط عموماً في التفكير الاستراتيجي الأميركي، لأسباب عدّة، من بين أبرزها اثنان: أوّلهما،

> **للصين وتيرتها الخاصة في توسيع النفوذ يحدّدها تنافسها مع الولايات المتحدة، وليس الرغبات السعودية**

انتهاء الحرب الباردة، والدليل الإضافي على ذلك هو تراجع أهمية تركيا أيضاً بالنسبة إلى الأميركيين؛ وثانيهما، هو تطوّر صناعة النفط الأميركية التي جعلت من الولايات المتحدة مصدّراً صافياً للسلعة، بحيث لم يَعُد خوفها يتمثّل في فقدانها، وإنّما في تقلّب أسعارها واحتمال تعرّقل تدفّقها إلى الأسواق العالمية، نظراً إلى الترابط بين الاقتصادات العالمية، وفق الصيغة التي تناسب الهيمنة الأميركية.

وفي المقابل، للصين وتيرتها الخاصة في توسيع النفوذ، يحدّدها تنافسها مع الولايات المتحدة، أكثر ممّا هو الرغبات السعودية أو الخليجية. ولعلّ هذه الحقيقة هي ما يدفع إلى الظنّ بوجود مردود صيني اقتصادي وسياسي مضمون للزيارة، التي دقّقت بكين في كلّ تفاصيل ترتيباتها، ولم تعلن عنها إلّا قبل ساعات قليلة على موعد وصول شي، بعد أن تجاهلت على مدى أشهر تصريحات كبار المسؤولين السعوديين المباشرة حولها، أو التسريبات إلى صحف أميركية وبريطانية، ولولا ذلك المردود لاستمرّ التردّد الصيني أو لأُلغيت الزيارة من أساسها. وبالتالي، فالحديث الرئيس، هنا، يدور حول صراع صيني - أميركي، يمثّل ابن سلمان أحد أحصنته الذي يمكنه أن «يحزن» من هذا الطرف أو ذاك، ويشوّش حساباته، وفق ما أظهره الدور الراهن للمملكة في أسواق النفط العالمية، والذي استطاعت من خلاله اغتنام التناقضات بين روسيا والصين من جهة، والولايات المتحدة من جهة أخرى، في ضوء حرب أوكرانيا التي أعاقت إمدادات النفط إلى أوروبا، ودفعت بالأسعار إلى مستويات مرتفعة.

على أنّ ما يُعرف بالانسحاب الأميركي من الشرق الأوسط، أو تخفيض الوجود العسكري الأميركي فيه، هو عملياً انسحاب من حروب النفط، لمصلحة تركيز الجهود على حروب أخرى، منها مثلاً حرب الرقائق الإلكترونية التي تفترض تعزيز الوجود الأميركي، العسكري في الأساس، في دول آسيوية، حيث توجد بالفعل ترسانة عسكرية أميركية في دول كوريا الجنوبية واليابان، أو على مقربة من تايوان التي تُعتبر من أكبر منتجي تلك الرقائق، وتُمثّل في الوقت نفسه اختراقاً كبيراً لسيادة الصين في عقر دارها. أضف إلى ذلك أن أسعار النفط الحالية تبدو معقولة بالنسبة إلى الأميركيين (نحو 72 دولاراً لخام غرب تكساس الوسيط، و77 دولاراً لبرنت)، بعدما حُكي عن صفقة جانبية بين إدارة بايدن وابن سلمان قضت بطلب الإدارة من محكمة أميركية تنظر في دعوى خطية جمال خاشقجي، بمنْح ولي العهد السعودي المدّعى عليه في هذه القضية، حصانة سيادية.

وعليه، يمكن تلخيص نتائج الزيارة بأنها تحمل مكاسب كبيرة للصين، كما لاقتصادات الخليج، إنّما ضمن الوتيرة الصينية التي تبتعد، أقلّه راهناً، عن إحداث صدمات كبرى في التوازنات العالمية، والتي لم تصلّ بعد إلى مرحلة قلْب الطاولات، فضلاً عن أن للصين علاقات متوازنة في هذه المنطقة، تشمل دولاً مثل إيران التي تقترب علاقتها معها من التحالف، وهذا أيضاً يفسّر جانباً من التحفّظ الصيني الذي رافق ترتيبات الزيارة إلى الرياض.

إضاءة

ولاية نتنياهو الثالثة: حكومة الألغام

علي حيدر

أخرجت جولة الاقتراع الأحدث في دولة الاحتلال، هذه الأخيرة، من دوّامة الانتخابات المفتوحة، مُصدِّرةً قاعدة برلمانية يمكن الافتراض - أقلّه نظرياً - أنها ستستمرّ لسنوات أربع. وعكست هذه النتيجة طبيعة المتغيّرات التي شهدتها الساحتان السياسية والاجتماعية في الكيان، والتي مكّنت تيّارات موسومة بالتطرّف الفجّ إزاء الفلسطينيين، من امتلاك زمام القرارات السياسية، التي قد يؤدّي بعضها إلى تفجير الغام بدأت التحذيرات الإسرائيلية تتسارع من تداعياتها على الأمن القومي للدولة العبرية، وعلاقة حكومة بنيامين نتنياهو العتيدة مع إدارة جو بايدن.

وأظهرت نتائج انتخابات «الكنيست الـ25» تقدّماً ملحوظاً للتيّارات المُشار إليها أعلاه، وعلى رأسها «الصهيونية الدينية» و«عوتسما يهوديت» اللذين ارتفع تمثيلهم إلى 14 مقعداً، بزيادة 8 مقاعد عن حصّتهم في «الكنيست» السابق. ويعود تعاظم هذا التمثيل، في جانب منه، إلى انتقال مُصوّتي حزب «يمينا» الذي كان يرأسه رئيس الحكومة السابق نفتالي بينت، إلى تحالف الحزبَين الفاشيَين المذكورَين، جرّاء خيبته من أداء بينت، ولكون إيتمار بن غفير وبسلئيل سموتريتش أقرب إلى توجّهاته الأيديولوجية والسياسية. وعلى أيّ حال، فقد حوّلت هذه النتائج، شركاء نتنياهو، إلى عامل رئيس في تحديد مستقبله السياسي والشخصي؛ إذ إن أيّ محاولة من قِبَله للهروب من تهم الرشوة والفساد المُوجّهة إليه، وبالتالي من مصير السجن الذي كان ينتظره، لن يُكتب لها النجاح من دون تأييد أولئك الشركاء، بمن فيهم «الحريديم». والواضح أن هؤلاء يستغلّون نقطة الضعف تلك من أجل فرض سياسات قد لا يرى نتنياهو توقيتها

> **تتصاعد من مآل تعفّن الانقسامات، وتداعياته على ما تسمّى «المناعة الاجتماعية»**

صائباً، إلّا إنه يحتاج إلى مجاراتهم فيها للحفاظ على استقرار حكومته، وفي الوقت نفسه تلافي تفجّر الألغام التي من شأنها أن تربك سياساته الإقليمية وعلاقاته مع إدارة بايدن.

في ضوء ذلك، تثير التشكيلة المرتقبة لحكومة نتنياهو، إنْ لم تطرأ مفاجآت استثنائية، مروحة من الأسئلة والتقديرات بشأن طريقة تعاملها مع القضايا الحسّاسة، والمتّصلة بالدرجة الأولى بالصراع مع الفلسطينيين، والعلاقات اليهودية - العربية، والوضع في المسجد الأقصى، والذي قد يؤدّي المساس به إلى إزكاء المواجهات في الضفة الغربية والقدس المحتلّتَين، والتسريع في اندلاع هَبّة شعبية فلسطينية دفاعاً عن المقدّسات، وصولاً إلى إمكانية اندلاع مواجهة كبرى في المنطقة. أيضاً، يتركّز اهتمام قادة العدو وخبرائه، راهناً، على الموقف المحتمَل للإدارة الأميركية من تصعيد السياسات العنصرية والعدوانية، علماً أنه سيكون من مصلحة واشنطن - بعيداً عن أيّ أوهام في هذا السياق - الحفاظ على قدر من الاستقرار، وعدم الانشغال بتطوّرات دراماتيكية يمكن أن تتطوّر إلى سيناريوات أكثر خطورة.

وإلى جانب الهواجس المتّصلة بالأوضاع في الأراضي المحتلّة، تتفاقم المخاوف من تزايد الاستقطاب في المجتمع الإسرائيلي، في ظلّ الهيمنة اليمينية على «الكنيست» والحكومة، وتأثير ذلك على المناخ السياسي عموماً. وفي هذا الإطار، تتصاعد تحذيرات القادة والخبراء ومراكز الدراسات من مآل تعمّق الانقسامات، وتداعياته على ما تسمّى «المناعة الاجتماعية». وتأتي هذه التحذيرات في وقت تتعاظم فيه التحدّيات التي يواجهها الكيان في بيئته الإقليمية، وعلى رأسها التهديد الإيراني بكلّ عناوينه، والذي يحتاج إلى تنسيق وتكامل مع إدارة بايدن، التي تسود، هنا أيضاً، تقديرات بإمكانية تأثّر موقفها بخطوات حكومة نتنياهو.

إعلانات رسمية

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الشمال
طلب زياد فهدا بوكالته عن عبد القادر ومحمود ولدي خضر فهدا سند تمليك موحد في العقار 1141 منطقة المنيه.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلبت ميرنا أمين ستوت بصفتها أحد ورثة المرحوم أمين عبدالله ستوت سند بدل ضائع عن العقار 112 المقاسم 17 و22 منطقة الميناء 13 والعقار 143 المقاسم 4 و5 و7 و8 منطقة الميناء 11 والعقار 218 المقسمان 5 و7 منطقة الميناء 11 والعقار 231 الميناء 11 والعقار 2358 بساتين طرابلس والعقار 218 المقسم 10 و17 منطقة الميناء 11.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في طرابلس
طلبت زبيدة أيوب بوكالتها عن لطيفة خالد بصفتها احد ورثة محمد شحادة حسن خالد بالعقار 612 مقسم 40 بساتين طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب الشيخ بسام أحمد البستاني سند تمليك بدل ضائع للعقار 224 منطقة التل من حصة دائرة أوقاف طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في طرابلس
طلب أحمد فتفت بوكالته عن كاربيس كيورق بوغاريان سند بدل ضائع بالعقار 1427 بقاع صفرين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلبت رندا جميل الياس بصفتها أحد ورثة جرجس جميل الياس سند بدل عن ضائع بالعقار 249 و55 و811 و925 و56 و818 و891 منطقة بحويتا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب ميلاد ميشال حداد لمورثه ميشال توفيق حداد سند بدل ضائع عن حصته في العقار 1091 عين داره.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

مبوب

مطلوب

شركة مفروشات في المكلّس بحاجة إلى عمال في المجالات التالية: معلّم طراحة، معلّم تركيب برادي، معلّم نجارة عربي وموبيليا، معلّم حفّ الدهان، للتواصل على الرقم: ٠٣٢١٣٥٧٥

استراحة

كلمات متقاطعة 4194

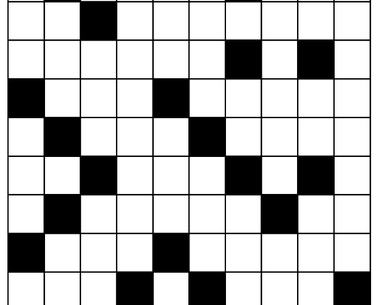

أفقيا
1- من الأسلحة القديمة – نذحر العدو – 2- إحدى القارات – حرف عطف – 3- إقليم سوداني – 4- تُشابه وتُشاكل – أعطى بلا مقابل – 5- يضرب خده – رقبة – 6- حروف العلة في اللغة العربية – من الأفاعي – 7- حزن وكرب – من أدوات البناء – 8- عاصمة أوروبية – ضعف – 9- عملة ايطالية – غاب النجم – 10- سياسي أموي شهير من دهاة العرب

عمودياً
1- عاصمة تشيلي – 2- عكسها حرف جر – تاه – دولة أفريقية – 3- من أنواع السفن الحربية – ربح طيبة – 4- ضمير منفصل – أخبر القصة – 5- منسوب المال – ثقال على الهاتف – 6- ماركة سيارات – ظلم وتعسّف – حرف نصب – 7- عاصمة البوسنة والهرسك – 8- من الحيوانات – شعلة تسقط من السماء – 9- لباس – إبعاد عن البلاد – 10- من الحيوانات – لب – خاصته

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- الأطلال – فا – 2- جون بول – ابل – 3- دنفر – اتفاق – 4- اية – التل – 5- الة – وما – 6- ربي – يا – طب – 7- در – تطوان – 8- ئف – ميرانو – 9- الأغلب – لف – 10- احمد شوقي

عمودياً
1- اجدب – رون – 2- لون – اب – فاح – 3- انفاليد – لم – 4- طبرية – رماد – 5- لو – يغش – 6- الا – واترلو – 7- تام – طابق – 8- افلاطون – 9- فيات – باول – 10- القلم – فج

sudoku 4194

		9		8	2		4	
4				3			9	
	6	8			9		3	
	4					9		7
8			1		4	3		5
9		1					6	
			5			2	7	
	2			7				3
	9		8	2		6		

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4193

4	1	3	7	2	9	8	6	5
6	7	2	8	4	5	9	1	3
8	9	5	6	1	3	4	7	2
2	3	6	9	8	7	1	5	4
9	5	4	3	6	1	7	2	8
7	8	1	2	5	4	3	9	6
1	2	9	4	3	6	5	8	7
5	4	8	1	7	2	6	3	9
3	6	7	5	9	8	2	4	1

مشاهير 4194

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس عراقي (1933-2017). من أبرز الشخصيات في التاريخ العراقي المعاصر
3+2+8+6+10+11+9 = عاصمتها تيرانا ■ 1+4+7 = أمر عظيم ■ 5+8 = مهنة إنسانية

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: هاينريش هملر

سيرة اليمين الإسرائيلي بشخص بنيامين نتنياهو [1]

أسعد أبو خليك *

ليس سهلاً على العربي—أو على الإنسان غير الفاقد للحسّ الإنساني—قراءة مذكرات لحكّام إسرائيل. هؤلاء يتطلقون في رؤيتهم للصراع العربي - الإسرائيلي ولمواقع منطقتنا من منظور لا يسهل على العربي الدخول إليه. كيف يمكن مثلاً أن تقرأ مسؤولاً إسرائيلياً يحدّثك عن أرض ووطن ليست له؟ وكيف يمكنك أن تقرأ عن أحداث أنت عشتها وتُذهل عندما تتبيّن مدى استسهال زعماء إسرائيل للكذب عنها؟ يقول بنيامين نتنياهو مبكراً في كتابه الذي صدر حديثاً بعنوان «ببيبي: قصتي»، إن عائلته انتقلت إلى منزل جديد «من الطراز العربي» في فلسطين المحتلة، وكانت الحكومة قد استملكته ليصبح منزلاً لوزير المالية ليفي إشكول. هكذا يروي نتنياهو لقراء الإنكليزيّة ببساطة شديدة، ومن دون حرج أمام الجمهور الغربي العنصري الأبيض، أن عائلته قطنت في منزل مسروق من سكّانه العرب (لن أستطيع أن أذكر صفحات الكتاب في الاستشهادات لأنني قرأته في نسخة إلكترونية ويختلف عدد الصفحات باختلاف النسخة واختلاف إعداداتها عند المُستعمل). الكتاب مكتوب بأسلوب سلس، ونتنياهو زهّا في مقابلات أنه كتب بخط يده على دفاتر. لكن عندما تقرأ صفحة الامتنان في آخر الكتاب، تكتشف أنه استعان بفريق كبير من الكتّاب والمستشارين لصياغة نسخة الكتاب. يجهدون في إيصال رسائلهم ولا يعتمدون العفويّة في البروباغاندا. الكتاب الذي يزعم أنه بقلمه هو نتيجة عمل جماعي، مثل خطبه التي يكثر في الاستشهاد بها في الكتاب. ونتنياهو يجول على الإعلام الغربي هذه الأيّام للترويج للكتاب، وقبل أيام زاد على مقولة غولدا مئير الشهيرة بالقول إنه لم يكن هناك شعب فلسطيني على أرض فلسطين عندما وطأ أرضها الغزاة الصهاينة.

الكتاب، مثل كل روايات قادة العدوّ، مليء بالأكاذيب التي يسهل دحضها. لكن المشكلة أن تكوّن موجّهة غالباً للقراء الغربيّين الجاهلين بتاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي وجرائم الصهيونيّة، كما أننا في العالم العربي لم نعد نهتم بدحض السرديّات والأقاويل الصهيونيّة. الإعلام العربي تغيّر كثيراً وباتت صحف آل سعود تجمّل صورة إسرائيل أمام القراء العرب. خسرنا كثيراً في العالم العربي بغياب «مركز الأبحاث الفلسطيني» في بيروت. نعلم أهميّة المركز عندما نتذكّر تاريخ التفجيرات الإسرائيليّة ضدّه عند السنوات: في عام 1971، تمّ وضع متفجّرة أمام مبنى المركز. وفي عام 1972، تلقّى مديره أنيس صايغ طرداً بريديّاً مفخّخاً كاد أن يودي بحياته (عندما عبث على المؤلّف أنه نظر إلى تاريخ التقيؤ صابغ وصافحته للمرّة الأولى، لم أستطع أن أتوقّف عن التفكير أن أصابعه تفتّتت بفعل التفجير الإسرائيلي). وفي عام 1974، وضع العدوّ سيّارة مفخّخة أمامه. وفي عام 1982، اقتحم جيش العدوّ المبنى ونهب محتوياته في جريمة أدت إلى ملاحقة عبر القانون الدولي. وفي عام 1983، وضع العدوّ سيارة مفخّخة قتلت وجرحت أكثر من مئة من السكّان والعاملين (وكان الجيش اللبناني «يحرس» المركز كثيراً من استعانته، للمرّة الأولى في تاريخ الانتخابات الإسرائيليّة، بخبراء أميركيّين متمرّسين باستعمال التلفزيون لأغراض سياسيّة وبتزويج العمل الاقتراعي وتنظيمه على مستوى المحلّة، منزلاً بمنزل. تلاحظ الكثير عن أسلوب عمل جيش العدوّ من تجربة نتنياهو الصهيونيّة وتجربة أخيه. كانت تختلف عن الفوضى والتسيّب الذي شاب التجربة العسكريّة لمنظمة التحرير في لبنان. كانت الدورات العسكريّة في صفّ منظمات المقاومة الفلسطينيّة تقرّر قسماً خاصاً بالتكتيك العسكري، بالإضافة إلى الفنون القتاليّة. وكان هناك كلام عن الحرص على عدم ترك أي أسلحة أو ذخائر في مكان يمكن أن يُرى من فوق بالطائرات، مثل لمعان معلّبات الطعام المعدنيّة التي يأكلها الفدائيّون. لكن كانت هناك أكوام منها خارج معظم القواعد العسكريّة في الجنوب أو قربها. نتنياهو يروي عن عودة جنود إلى مواقع سابقة لأنهم تركوا خريطة وراءهم. والأمر الثاني هو حريّة المبادرة في صف فرقة عسكريّة. وهذا سبق لكتيبة بوّلاك أن تحدّث عنه في كتابه «العرب في الحرب».

> يروي نتنياهو بكثير من الاعتزاز والثقة بالنفس تفجير طائرات مدنيّة فوق مطار بيروت في عام 1968
>
> تلاحظ الكثير عن أسلوب عمل جيش العدوّ من تجربة نتنياهو العسكريّة وتجربة أخيه

تستطيع أن تتبيّن في الكتاب كم أن العقيدة الصهيونيّة اعتنقت ممارسة الإرهاب وأدرجته في التقديس الوطني الشوفيني للعمل العسكري. ليس هناك من عمل إرهابي ضد أهداف مدنيّة يمكن أن يلقى حفيظة في نفوس الصهاينة. ليس سرّاً أن كل الأعمال الإرهابيّة—أو كلّ ما يتفق حتى الإعلام والحكومات الغربيّة على أنه إرهاب—دُشّنته العصابات الصهيونيّة في بلادنا في الثلاثينيّات والأربعينيات من القرن الماضي (راجع كتاب «من هم الإرهابيّون» الصادر عن مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة ولجنة إعلام المرأة العربيّة الصادر في بيروت في عام 1972). كيف أن هذا الكتاب القيّم لم يُترجَم بعد وكيف أنه لم يُعد نشره حول العالم؟). يروي نتنياهو بكثير من الاعتزاز والثقة بالنفس تفجير طائرات مدنيّة في مطار بيروت في عام 1968. بكل بساطة يقول: «أرسلونا إلى مطار بيروت لتفجير طائرات لبنانيّة». كان قائد «العملية» رفائيل إيتان (معظم الكبار في السن من قادة الأحزاب اللبنانيّة الانعزاليّة الحالية كانوا يناديونه باسم التحبّب «رفول»). يقول نتنياهو بصفاقة الدعاية الصهيونيّة إنه حرص قبل وضع المتفجّرات على التأكد من خلوّ الطائرات من المدنيّين. كانت العمليّة تحت جنح الظلام، وكان المطار مغلقاً وكانوا على علم بذلك، لكن الجملة عن ضمان خلوّ الطائرات من المدنيّين كانت لفتة بروباغندا نعهدها في السرديّات الصحافيّة الصهيونيّة، غربياً وشرقاً. (كان العدوّ في سنوات الحرب الأهليّة، وخصوصاً في عام 1982، يقصف مباني أهلة بالسكّان عن بكرة أبيها، لكن «صوت لبنان» وأجهزة الدعاية الإسرائيليّة كانت تزعم أن تحذيرات إسرائيليّة للسكّان كانت تسبق التفجير. أنا شاهد في أول أيّام الغزو الإسرائيلي في حزيران 1982 على تفجير مبنى كامل في حيّ المزرعة — ملاصق لشقتنا السكنيّة—بواسطة قنابل فراغية مُلقاة من الجو، ولم يسبق القصف أيّ تحذير للسكّان. سُحق كل من كان في المبنى بين الطوابق، والقنبلة تتفجر مرتين كي يُطبق المبنى فوق رؤوس ساكنيه). هذا الوصف العرضي لتفجير طائرات مدنيّة في مطار بيروت يذكّرنا بالحديث الدائر (من قبل أتباع حكومات الخليج وإسرائيل) حول ضرورة حصريّة السلاح. لم يسرح العدوّ ويمرح في بيروعنا كما فعل في زمن حصريّة السلاح. وتفجير الطائرات في مطار بيروت جرى عندما كان إسكندر غانم قائد منطقة بيروت في الجيش اللبناني. تبلّغ غانم تحذيراً قبل العمليّة وطُلب منه حماية الطائرات ولم يفعل شيئاً. كافأ سليمان فرنجيّة غانم على فعلته بتعيينه قائداً للجيش اللبناني وهو الذي تجاهل الغارة على شارع فردان والتي أودت بحياة العشرات من قادة المقاومة ومقاتلين ومدنيّين. غانم هذا كان قد أقام علاقات مع ضبّاط إسرائيليّين عندما كلّفته حكومة لبنان بالتفاوض مع إسرائيليّين حول خطوط الهدنة بعد النكبة مباشرةً.

وفي عمليّة أخرى أثناء خدمته في الجيش الإسرائيلي يقول نتنياهو: «فريقي وأنا هبطنا بالهليكوبتر في الليل في دولة عربيّة». لا تحتاج إلى التمحيص في الخريطة كثيراً كي تدرك أن العمليّة كانت في البلد المُباح لبنان، المتّمتع آنذاك بحصريّة السلاح الذي يصرّ عليه ماكس فيبر كما فؤاد السنيورة كما اللوبي الإسرائيلي في واشنطن. وبصورة عابرة، يكرّر نتنياهو الوصف «عندما دخلنا لبنان». وهل هناك شكّ أنه لولا سلاح المقاومة الرادع اليوم، لكان جيش العدوّ «يدخل» لبنان أسبوعيّاً وينصّب رؤساء حكومات وجمهوريّة ووزراء؟ ويتحدّث عن عمليّة أخرى في الأراضي السوريّة. لم يكن العدوّ يحترم الحدود التي لم يستحقّها يوماً، لكن مجرّد عمليّة خطف لجنود العدوّ في 2006 للمبادلة مع معتقلين عرب أثارت غضب حكومات الغرب وأعوان إسرائيل في لبنان. ووصف نتنياهو لبطولاته العسكريّة يذكّر بوصف المقاتل الكتائبي، مارون مشلاّني ببطولاته الخارقة في كتابه «صليب الحرب: من غياهب الظلمات إلى النور السماوي». ليس من عمليّة كُلّف بها نتنياهو إلا وقام بها خير قيام وتفوّق وجلّ، مع أن قائده في تلك الفترة، إيهود باراك، قال إنه لم يكن كما يصف نفسه بالنسبة إلى المهارة والشجاعة والقدرات.

ونتنياهو خبير بالعلاقات الأميركيّة-الإسرائيليّة ويستطيع أن يحدّد بدقّة طبيعة وأسباب الثقة الإسرائيليّة-العدوان بالتغطية السياسيّة الأميركيّة لعدوان إسرائيل. يقول مثلاً: «على إسرائيل أن تضع أمنها أولاً، وعند الضرورة عليها أن تضرب مسبقاً. أما التحالف مع أميركا فهو يعتني بنفسه. معظم الأميركيّين، بمن فيهم الرؤساء، يفهمون أنه عندما تحرّ الميزونيّة» فإن على إسرائيل أن تقوم بما تراه ضرورياً للدفاع عن نفسها. وفوق ذلك، الجميع يحب الرابحين، والضرب الاستباقي يعطيك أفضليّة». ما يقوله نتنياهو صحيح، وهذا ما شاب السلوك العسكري العربي منذ النكبة. لقد تجنّب العرب الضرب الاستباقي لأنهم—بمن فيهم جمال عبد الناصر نفسه—وثقوا بالوعود الأميركيّة الكاذبة وظنّوا أن أميركا ستعاقب الضارب أولاً ولو كانت إسرائيل. إن المقاومة اللبنانيّة الحاليّة نالت حظوة عسكريّة في التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي لأنها فهمت ضرورة الضرب الاستباقي.

ويجزم نتنياهو بأقواله كأنه مؤرّخ. يقطع أن الشعب الفلسطيني لم يبلور وعياً قومياً قبل النصف الأوّل من القرن العشرين. لكن رشيد خالدي بحث الأمر ووثّقه في كتابه «الهويّة الفلسطينيّة: بناء وعي قومي حديث». وحتى المؤرّخ الإسرائيلي المُنحاز، يهوشوفاه بورات، في كتابيه عن الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة يرصد جذورها في زمن يسبق القرن العشرين. ومفهوم «جند فلسطين» الكياني عند العرب سبق مرحلة الحركة الصهيونيّة لأن الصهاينة يرفضون رؤية القوميّة الفلسطينيّة إلا كردّة فعل ضد الصهيونيّة. لكن الموضوع لا يهمّ: من حق الشعب الفلسطيني أن يقاوم الغزو الصهيوني بصرف النظر عن حالة الوعي القومي أو الهويّة. كما أن الوعي القومي العربي عند الشعب الفلسطيني لم يتضارب مع الوعي الوطني الفلسطيني: ليست كل الأقطار العربيّة مثل لبنان حيث زُرعت فيه هويّة فينيقيّة شوفينيّة في تضادّ مع الوعي القومي العربي لسكّانه.

ويذكر نتنياهو الاتهامات التي لا تزال تطاله أنه تدخّل ويتدخّل في الشؤون الداخليّة الأميركيّة وأنه ساهم في إنجاح الجمهوريّين في الانتخابات. يذكّر نتنياهو بأن إسحق رابين، عندما كان سفيراً لبلاده، اتهم من قبل المؤرّخ الديموقراطي، أرثر شلسنجر، بالتدخّل لمصلحة ريتشارد نيكسون. كتب شلسنجر: «لم يكن هناك من مبعوث أجنبي (قبل رابين) تدخّل بهذه الصفاقة في السياسات الداخليّة الأميركيّة منذ الحادثة المؤسفة لساكفيل - وست في 1888» (كان ساكفيل وست دبلوماسياً بريطانيّاً وكتب رسالة في حماة انتخابات رئاسيّة اعتُبرت تدخّلاً في الشؤون الأميركيّة).

ويتعلّم القارئ العربي الكثير عن طبيعة العمل الصهيوني في الساحة الأميركيّة من خلال نشاط والد نتنياهو الذي كان نافذاً في الحركة اليمينيّة التي أسّسها فلاديمير جابوتنسكي، والتي ولّدت في ما بعد «الليكود». المُذهل أن المواطن الأميركي العادي—ما لم يكن ثرياً—لا يستطيع بسهولة الاجتماع بالمسؤولين الأميركيّين، على أي مستوى. هذا من المستحيلات لأن الثروة أو الشهرة (وهما متلازمتان كما في حالة الفنانين في هوليوود) تفتح أبواب السلطة والنفوذ للمواطن. لكن والد نتنياهو كان يجتمع بأي مسؤول أميركي يريد، ومن دون عناء يُذكر. حتى اليوم في القرن الواحد والعشرين، لا يمكن لمواطن عربي أن يستطيع أن يجتمع بأرفع المسؤولين الأميركيّين. بنزيون نتنياهو يعترض على سياسات الحكومة الأميركيّة بعد الحرب العالميّة الثانية ويقرّر أنه يريد أن يغيّرها بنفسه. يطلب الاجتماع «لوي هندرسون». يصف نتنياهو هندرسون، الذي شغل منصب مساعد وزير الخارجيّة لشؤون الشرق الأدنى، بـ«معاد صلب للصهيونيّة». هندرسون هذا كان خبيراً في شؤون المعسكر الشيوعي، لكنه شغل مناصب في إيران وتسلّم منصب مساعد الوزير لشؤون الشرق الأوسط (يمكن حول هندرسون مراجعة كتاب باتريشا بوسورث: «كما يشتهي قلبك الصغير: قصة عائلة أميركيّة»). صحيح أن هندرسون عارض قرار تقسيم فلسطين (هو فضّل ليس استقلال فلسطين بيد الأكثريّة العربيّة، بل أراد وضعها تحت إدارة الأمم المتحدة. وكان هو مع وزير الخارجيّة، جورج مارشل، من معارضي قرار الاعتراف الأميركي بإسرائيل في عهد ترومان، لكن الفريق الصهيوني فاز نتيجة الضغوط من المنظمات اليهوديّة والحزب الديموقراطي). وهندرسون عارض قيام إسرائيل ليس من منظور معارضة الصهيونيّة بحد ذاتها أو من منظور التعاطف مع شعب فلسطين، وإنما من زاويّة الحرص (الواقعي في نظريّات العلاقات الدوليّة) على المصالح الأميركيّة وسمعة أميركا بين العرب. والد نتنياهو التقى هندرسون هذا، وتأثر الأخير بأطروحات بنزيون إلى درجة أنه اصطحبه على الفور للقاء وزير الخارجيّة بالوكالة، دين أتشيسون، والجنرال أيزنهاور في عام 1947، وكان رئيس أركان الجيش. برواية نتنياهو، لو أن جورج حبش استمع إلى أطروحات بنزيون نتنياهو الصهيونيّة لما تردّد في اعتناق الصهيونيّة لشدّة قوته في الإقناع وسداد رأيه. كانت حجّة نتنياهو معروفة: إن إنشاء دولة إسرائيل سيساعد المصالح الأميركيّة لأنه سيمنع السيطرة السوفياتيّة على الشرق الأوسط. استمتع أيزنهاور بطرح نتنياهو، وخصوصاً لتوقّعه أن جيش إسرائيل سيكون الأقوى في المنطقة. ساله أيزنهاور عن إمكانيّة ذلك نظراً إلى صغر حجم السكان اليهود. أجابه بنزيون: «أيها الجنرال، لقد شاهدتُ في حربيْن عالميّتين كيف تحارب نحن اليهود لمصلحة الغير. تخيّل عندما نحارب من أجل أنفسنا». عندها، طلب أيزنهاور من بنزيون أن يعيد طرح مقولاته أمام كل أركان الجيش الأميركي. هذه الرواية هي بقلم ابن بنزيون، طبعاً.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

الدولة الطائفية الهشّة

سعد الله مزرعاني *

لا تقع مسألة انعقاد جلسة مجلس الوزراء (الأولى بعد الشغور الرئاسي)، و«ثورة» التيار العوني على الداعين إليها والمشاركين فيها («بمن فيهم «حزب الله»)، وأساساً الصراع حول الهوية السياسية لرئيس الجمهورية، خارج الصراع الضاري الدائر (منذ ثلاث سنوات على الأقل) في لبنان وعليه. «الدولة الطائفية» التي نظّر لحتمية ومصيرية قيامها في لبنان، المفكر والسياسي والمصرفي ميشال شيحا (1891-1954)، تواجه مزيداً من العواصف والأزمات والتحديات. ربط شيحا بين وجود الدولة الطائفية ووجود وبقاء الكيان اللبناني، باعتبار لبنان «بلد أقليات طائفية متشاركة» بحسب وصفه. عبّر بذلك عمّا سمّاه «فرادة» لبنان عبر زعم فرادة طوائفه: متجاوزاً الشروط التاريخية للتغيير، والتحولات والمفاهيم العصرية لبناء الدول ولعناصر وحدتها الوطنية ومقومات سيادتها واستقرارها وسلامة علاقاتها في الداخل ومع الخارج. جوهر ما حاول شيحا تأكيده وتكريسه هو أن الطوائف، كأقليات، في الظروف اللبنانية الملموسة، هي كيانات مستقلة، قائمة بذاتها، وهي بالدولة تستمر ومن غير وجودها في الدولة لا يمكن للدولة ولا للبنان أن يقوما ويستمرا. ناقش هذه المقاربة مفكرون كثر، أبرزهم المفكر الكبير الشهيد مهدي عامل (حسن حمدان). هو، خصوصاً، كشف زيف ووظيفة هذه المعادلة التي تبنّتها وثبتتها البورجوازية اللبنانية والإقطاع السياسي، أداة لبناء ولاستمرارية سلطتهما وتسلطهما، لتصبح الطائفية السياسية إحدى الأجهزة الأيديولوجية (ألتويسر) لتلك البورجوازية. وهو شدّد على أن للطائفية وظيفة سياسية وهي «علاقة سياسية»، وأنها بالدولة تقوم وتترسّخ، وليس العكس.

لا شكّ أن الأزمة الطاحنة الراهنة والمستمرة منذ ثلاث سنوات على الأقل، والمتمادية بمزيد من التداعيات والمخاطر الكوارثية على لبنان وشعبه المنكوب، هي ثمرة مُرّة لنظام ومنظومة «الصيغة الفريدة» التي اعتمدها لبنان برعاية وحماية غربية استعمارية منذ مطالع القرن الماضي حتى اليوم. فالغرب الاستعماري الذي توسّل مبدأ «فرّق تسُد»، سعى دائماً إلى إضعاف المستعمرات وتشتيت الكيانات القومية وتفتيت وحدتها الوطنية، بالانقسامات والعصبيات الطائفية والمذهبية والإثنية، وبالانتماءات ما قبل الحديثة، مناطقياً وعشائرياً. بسبب هذه الصيغة تمّ منع قيام الدولة اللبنانية الواحدة، الحصينة والمستقرة، لتقوم دويلات على حسابها: تتغذى من مواردها وتتقاسم خيراتها ومؤسساتها وسلطاتها، ويتصارع «الشركاء» ويستقوي بعضهم بالخارج على الآخر. وفي حالتَي الاتفاق (التقاسم) والخلاف (على التوازنات وحجم الحصص)، يعتدون على سيادة الدولة، ويضعفون الوحدة الوطنية، وينتهكون الدستور والقانون وحقوق المواطن، ويعزّزون التبعية للخارج. لقد عانى اللبنانيون، في ظل وهم «الفرادة» و«التفوق»، من هشاشة عمارتهم الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، وتلاحق صراعاتهم وحروبهم «الأهلية»، وصولاً إلى انهيار دولتهم بعد نهبها ونهب مواطنيها من قبل طغمة مجرمين ما زالوا يواصلون تنافسهم وصراعاتهم لتدمير ونهب ما تبقى.

هذا الصراع الممتد، المشوب بالخلل والفنيّات والأساطير، صادف، منذ البدايات، رعاية وتغذية واستغلالاً من قبل الخارج القريب والبعيد، العدو والشقيق (مع فارق في الأحجام والأهداف والتأثير). فكانت، في مراحل متقدمة وبعد صراعات ومجازر، «القائمقاميتان»، و«المتصرفية» والمتصرفون العثمانيون، ونفوذ القناصل و«رعاياتهم»، إلى «لبنان الكبير» بعد سقوط السلطة العثمانية، إلى الاستقلال الملغم بالطائفية عام 1943، إلى النزاع السياسي ـ الأهلي عام 1958، إلى الحرب الأهلية بين عامَي 1975 و1990، إلى الوصاية السورية... وصولاً إلى الانهيار المدوّي الشامل، بسبب النهب التحاصصي، وفي كنف الازدواجية التفاعلية تبعياً ومرجعياً، في حقول السياسة والاقتصاد والمال، بين البورجوازية اللبنانية والإقطاع السياسي المالي، وبين المركز الإمبريالي الدولي الذي تديره وتشنطن منذ نحو سبعة قرون، والذي يستتبع ويحدد الوظيفة ويضبط الإيقاع!

ما جرى في معركة «الفراغ الرئاسي» منذ بداية الشغور، أول الشهر الماضي، هو من نتائج الخلل في النظام الذي ترتب عليه تقاسم وصراع وتبعية ومحاصصة ونهب وفراغ وعدم محاسبة و... انهيار الدولة وإفقار الشعب وتعريضهما لأسوأ الاحتمالات ومنها شبح التقسيم والتفكك والاحتراب الأهلي، والفوضى المجتمعية والأمنية التي أشارت إليهما (أو لوحّت بهما!) مساعدة نائب وزير الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأدنى بربارا ليف.

ينبغي التذكير، تكراراً، أن أطراف السلطة قد خاضت معاركها في نطاق «الصيغة» الحالية لتعديل توازناتها، من دون المساس بجوهرها. حلقة رئيسية في هذا السياق، تمثلت في أنها عطّلت إصلاحات «الطائف» وخصوصاً النص على مباشرة إلغاء الطائفية السياسية وفق آلية ومهل محدّدة تماماً، ابتداءً من عام 1992!

أشرنا إلى الحضور الدائم للقرار الخارجي في الشأن الداخلي اللبناني. هشاشة الوضع اللبناني، شجّعت العدو الصهيوني على استهداف لبنان في وحدته وسيادته وجغرافيته ومياهه. أثمر ذلك عدوان عام 1982 واحتلال العاصمة اللبنانية، واتفاق 17 أيار، وحين تفاقمت الصراعات وصادفت مناخاً إقليمياً ملائماً، كانت التوترات والحروب الأهلية ومجيء الأساطيل والقوات الأطلسية لفرض الأحلاف أو لحماية العدوان الإسرائيلي ودعم أهدافه. وكما في كل بلدان العالم، باتت واشنطن في لبنان، أيضاً، صاحبة الكلمة في حقول السياسة والاقتصاد والمال والعلاقات الخارجية، وتكثّف دورها بعد أزمة تشرين الأول عام 2019. وهي، منذ ذلك التاريخ، تقود خطة مع شركاء دوليين وإقليميين ومحليين للنيل من المقاومة التي اخترقت إيجابياً البنية التقليدية اللبنانية وسجلت نجاحات مميزة منذ كان العدوان الصهيوني على لبنان واحتلال أجزاء واسعة من أراضيه، وصولاً إلى العاصمة. استمر استهداف المقاومة خصوصاً، بعد أن تحوّلت، عبر شقها الإسلامي، إلى قوة ردع وتوازن ألحقت بالعدوان الصهيوني ـ الأميركي عام 2006 هزيمة منكرة.

إلى المقاومة اللبنانية، وفي نطاق هشاشة البنيان الدولتي، المؤسساتي والدفاعي اللبناني، كان الدور الفلسطيني، كان الإدارة السورية، وتواصل واشنطن والرياض، حالياً، سياسة تدخل فجّ ومباشر لفرض التطبيع «الإبراهيمي» مع الكيان الصهيوني، ولتصفية المقاومة، وأساساً لتصفية قضية وحقوق الشعب الفلسطيني. الكارثة متمادية ومتفاقمة، أيضاً، بسبب غياب المشروع البديل والمعارضة الوطنية. هذه الأخيرة لم تكن بمستوى الأزمة رغم غنى وعراقة حضورها في المشهد السياسي اللبناني.

كان يمكن للأزمة أن تتحول إلى فرصة للتغيير والإنقاذ، خصوصاً أنها قد أصابت، بشكل كوارثي، الأكثرية الساحقة من اللبنانيين. لم يحصل ذلك ولا يبدو أنه سيحصل وفق المعطيات القائمة. لكن أضرار وتحديات تلك الأزمة لن تقف عند حد. ما أمكن حمايته حتى الآن من إنجازات قد لا يستمر محمياً نتيجة الضغوط الحدة الخارجية (ولو تراجعت مؤقتاً) والداخلية. ذلك يتطلب إعادة تفحّص عناصر الدفاع والحماية بشكل جدي وجوهري: إنها مهمة مصيرية مطروحة على كل المعنيين والحريصين!

* كاتب وسياسي لبناني

البلاد

ملف

الحجر والجدار

مطر عدوان

تثير ذكرى الانتفاضة الأولى أفكاراً كثيرة، جميلة ورومانسية بعض الشيء، على الرغم من أن كل ما يتعلق بفلسطين، لا بد وأن يصطدم بحائط شيّدته الدماء والدموع. مع ذلك سأنسج للحائط غلافاً، أغطي فيه حزناً قديماً في فلسطين، لا لأرسم ابتسامة على وجه أحد، لكن لأحاول إعادة تكوين المشهد.

في رسالة كتبها الشاعر الراحل سميح القاسم درويش إلى الشاعر الراحل محمود درويش في 5 آب 1986، قال له فيها: «نحن في حاجة ماسّة إلى الإيمان الأول، وإلى النار الأولى. نحن في حاجة إلى سذاجتنا. نحن في حاجة إلى درس الوطن الأول: أن نقاوم بما نملك من عناد، وسخرية، بما نملك من جنون... في الأزمات تكثر النبوءات: وها أنا ذا أرى وجهاً للحرية، محاطاً بغصني زيتون... أراه طالعاً من حجر». بعد عام وبضعة أشهر، قامت الانتفاضة، وتحققت نبوءة الشاعرين، أو تحقق إلهام الشعب للشاعرين، وكانت قصيدة الشعب الفلسطيني التي امتدت لأعوام بالدم والعظام وحجارة الأرض. تحقّقَ تلك «الثورة المناهضة للاستعمار الأكثر إثارة للإعجاب وانضباطاً بكل تأكيد في هذا القرن»، حسب تعبير إدوارد سعيد، جاء بفعل الحق، بالإيمان المجرد من أي شيء سوى الحقيقة الطالعة من عين الشمس، أن هذه «الأرض، أم البدايات أم النهايات. كانت تسمى فلسطين. صارت تسمى فلسطين». الانتفاضة التي قامت قبل 35 عاماً، يمكن لها أن تقوم اليوم، أن تولد من بطن الأرض، من حجارتها، من زيتونها، من السواعد التي ستحمل النار في وجه إسرائيل. لأن الإيمان موجود، والشعب المؤمن بقدرته وطاقته وبالحقيقة الطالعة من عين الشمس، موجود، يكمل في طريق أبديته على أرضه، فلا أحد سواه فيها، ولا أحد لها إلا هو.

تثير الانتفاضة الأولى شهوة الحياة، كي تكون إنساناً، أحمل حجراً وقاوم، كي تكون فلسطينياً، أحمل انتفاضتك وقاوم، بالحجر، بالنار.

أفكّر الآن، بما كتبته أعلاه، لماذا؟ كيف لي أن أذهب بالكتابة إلى أكثر من ذلك، إلى أسئلة. لست أدري عن إجابتها، كأن أسأل: هل يحق لي محاولة تغطية حائط الدموع؟ هل تبقى الضحية ضحية بلا أثر؟ إن غطيت الحائط بفكرة، هل تبقى الفكرة بلا دموع؟

ستبكي الفكرة، بعد قليل، سيبكي الجدار، فمع كل لاجئ جديد يولد، ومع كل لاجئ قديم يموت، ومع كل شهيد جديد، وأسير جديد، هناك دمع جديد، وحلم يثأر من بركة الدم التي تتجمع منذ مئة عام وأكثر، من النكبة والنكسة، والمجازر فيهما وبينهما، ومن انتفاضة الحجارة وشقيقتها انتفاضة الأقصى، من كل مخيم سقط أو تجري محاولة إسقاطه، الثأر الذي يكبر كل يوم، ثأر من التاريخ والحاضر والمستقبل، ثأر، يستأهل أن يؤرّخ، لا بالدم الكثير، بل بالحياة التي نقاوم من أجل أن تكون لنا. لذا، حائط الدموع لا يحتاج إلى فكة تغطيه، بل يحتاج إلى هدف وحفظ في متحف الذكريات، بعد أن تعود فلسطين فضاء لأهلها وللعالم، فضاء يبتسم حتى الأبد.

في ذكرى انتفاضة الحجارة
حتمية الانفجار واعتباطيّة الحل السلمي

مصعب بشير

كان اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الأولى، المعروفة بانتفاضة الحجارة، أمراً طبيعياً من حيث حتمية حدوثه في سياق أخذت فيه عربدة النظام الاستعماري الصهيوني بُعداً جديداً؛ فقد ثبت فشل المساعي الإسرائيلية لاحتواء سكان المناطق التي احتُلّت في حرب حزيران/يونيو 1967، من خلال استخدامهم كأيد عاملة رخيصة في قطاعات البناء والزراعة والصناعة الخفيفة. كان النظام الصهيوني يعي تماماً أن التكلفة المنخفضة لقوة عمل سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، ستعني تحسّناً نوعياً لسكان «المناطق»، وهو مصطلح ورثته إسرائيل من حقبة الاستعمار البريطاني الذي قسّم فلسطين إلى مناطق عسكرية خلال ثورة 1936، ولا تزال إسرائيل تستخدمه لوصف الضفة والقطاع نظراً إلى خضوعهما للحكم العسكري. خرجت غزة من التسمية بعد إعادة إسرائيل لانتشار قواتها عام 2005.

فشل استراتيجية المضطهدين أمام صيرورة المضطهدين

كانت إسرائيل تعوّل على أن التحسّن الاقتصادي لسكان الضفة والقطاع، إضافة إلى تخريبها المنهجي لقطاع التعليم سيحقق ما أراده ديفيد بن غوريون بأن «يموت الكبار وينسى الصغار». لكن بن غوريون ومن جاء بعده غفلوا عن أن تلك المقولة منطقية في سياق غير سياق الاستعمار والطرد، أي إنها منطقية في حالة طبيعية - لا وجود فيها لعوامل تهديد وجودية كالاستعمار الصهيوني- لا في حالة غير طبيعية كحالة دولة إسرائيل التي قامت وتقوم على التطهير العرقي والاستعلائية العنصرية والتنكيل بالشعب الأصلاني بوتائر مختلفة، وكلها ممارسات يومية ضد من تبقّى من الشعب الفلسطيني في فلسطين.

لقد أدى الارتفاع النوعي لدخل أكثر من مئة ألف أسرة فلسطينية في الضفة والقطاع إلى تحسّن ملموس في ظروف المعيشة وإنعاش لحياة الفلسطينيين هناك- وأغلبهم لاجئون داخل وطنهم- كما أدى احتكاكهم بسوق العمل الإسرائيلي الذي ينهل من أحدث التقنيات الغربية، ويشارك في إنتاج بعضها، إلى نقل معرفة وآلات حديثة امتزجت مع ما حمله الأصلانيون الفلسطينيون من معرفة مما قبل النكبة، فأخذ ذلك اتجاهاً نحو صناعة فلسطينية -على نحو جنيني؛ إذ ظهرت ورش ومعامل في قطاع غزة والضفة الغربية كانت إمّا جزءاً من شبكات قيمة تابعة لشركات رأسمالية كبرى، أو كيانات مستقلة، ففي غزة ومخيم جباليا كانت تصنع ملابس لعلامات كـ Levi's و Lee، وأيضاً ثلاجات العرض للمحال التجارية، وفي الخليل ازدهرت على نحو أكبر صناعة الأحذية -المعروفة بها تاريخياً- إضافة إلى معامل للصناعات الغذائية في غزة ونابلس ورام الله والخليل. وقد أدى ذلك إلى بروز طبقة عاملة فلسطينية شكلت قرابة 38% من سكان الضفة والقطاع، وكان ثلثها عاملاً في الاقتصاد الإسرائيلي.

لكن الفلسطينيين استمروا في الحديث عن نكبتهم شفهياً، على الرغم من أن المدارس كانت تعتمد في قطاع غزة منهاجاً مصرياً وفي الضفة الغربية آخر أردنياً، كما ظل اللاجئون يشيدون بيوتاً تراوحت بين الجيد والفخم بعد أن تحسّنت أحوالهم المادية عام 1980 من القرن الماضي، لكن داخل المخيمات وحولها، فقد كانوا -ولا يزالون- متشبّثين بالمخيم ويعتبرونه مرحلة ما قبل العودة، وأن أي مكان غيره سيعني اللاعودة، تزامن ذلك كله مع جهود صهيونية مسعورة لمسح أي مظهر من مظاهر الهوية الوطنية الفلسطينية، ومنع الفلسطينيين من الاستقلال اقتصادياً عن إسرائيل -التي أرادت لهم تحسناً يُنسيهم ماضيهم، مع أن يظلوا تابعين لاقتصادها، إذ تناسب تحسّن الأحوال الاقتصادية طردياً مع تعاظم الروح الوطنية. يُضاف إلى ذلك أن إسرائيل شعرت بنشوة بعد أن هزمت منظمة التحرير الفلسطينية عسكرياً إثر اجتياح بيروت عام 1982 فصار تنمّر العسكريين الإسرائيليين على الأهالي جزءاً من الحياة اليومية.

1987 تجلّى «هرم ماسلو»... لا مخطط من اي فصيل!

كثيراً ما تردّد الفصائل الفلسطينية، الوطنية منها والإسلامية، أنها خطّطت للانتفاضة، أو أن نضالاتها تسبّبت في تأجيج نار الكفاح في صدور أبناء الشعب الفلسطيني. لكن ذلك مناف للواقع تماماً مثلما تُفيد روايات من عاصر تلك الفترة، وواقع الحال اقتصادياً وسياسياً. ففي حين أشبع فيه الفلسطينيون جوعهم واكتسوا من بعد برد وسكنوا بيوتاً من بعد خيام، وفي وقت لم تكفّ فيه إسرائيل عن حرمانهم من العودة إلى ديارهم، بل ومنعتهم من أن يكونوا أنفسهم -فلسطينيين أبناء هذه الأرض التي سميت عنوة إسرائيل- لا بل تمادت في غيّها بعد أن كسرت شوكة منظمة التحرير التي رؤوا فيها ممثلهم الشرعي والوحيد، وصارت تنغّص عليهم عيشهم بعد أن صار بإمكانهم كسبه من دون الركون إليها، صارت الثورة والخروج على المحتل أمران تحدثهما به النفس طوال الوقت.

قد يبدو تناقضاً أن إسرائيل -التي من مصلحتها أن يتحسن حال الفلسطينيين اقتصادياً- راحت تغلق المعامل، وتضع أنف مخابراتها في شؤون الناس. لكن ذلك من التناقضات المتأصلة في كيان استعماري كإسرائيل، فهي تخشى استقلال التابع، وتخشى ألا تكون لها سيطرة على صياغة وعيه، فتوافرت الظروف الموجبة للانفجار.

تفيد نظرية عالم النفس أبراهام ماسلو بأن الإنسان يأخذ في السعي إلى تلبية حاجاته المعنوية والمادية الآجلة، بعد أن يلبي حاجاته المادية العاجلة. لذلك تفرّغ من بقي من الفلسطينيين داخل وطنهم للانبراء للاحتلال. وربّ سائل يسأل: أوليس احرى بالجياع المشردين أن ينقضّوا على من نكبهم وشرّدهم؟ والجواب: بلى، غير أن وجود فصائل مسلحة وممثل سياسي هو منظمة التحرير، ودول عربية في الخلفية وحول إسرائيل، جعل الفلسطيني داخل فلسطين ينتظر الفرج ممن هم نظرياً أقوى منه. وعندما اتضح أنه لم يبق في «الميدان إلا حميدان» كما يقول المثل الشعبي الفلسطيني، لم يتأخر حميدان عن القراع. لذا لا يمكن فهم اندلاع الانتفاضة الشعبية الأولى في حدثٍ عنيفٍ محلي هنا أو هناك.

الثورة السابة تُعلّم السرقة!

كان أبناء الشعب من عمّال وفلاحين وطلبة ومثقفين، رجالاً ونساءً من مختلف الشرائح وقود الانتفاضة، فقدّموا الشهيد والسجين والجريح، والمطارد، والمنفي. لكن لم يكن لكل هؤلاء حزبهم بالمعنى عقيمة تنظيمياً وفكرياً ومصابةً بنيوياً بأمراض اليمين. أمّا اليمين الذي قاده ياسر عرفات، فقد أفسد حالة التنظيم الشعبي -التي نشّقت الإضرابات ونظمت التعليم والتآزر المجتمعي- بالمال الذي كان يُغدق بغير حساب من مكتب المنظمة في عمّان على كل من هبّ ودبّ، لا سيما على الزّعران والبلطجيّة الذين أثاروا الفوضى وعملوا على تصفية الكوادر الفتحاوية القليلة التي عارضت التسوية السلمية من مدريد حتى أوسلو. أمّا الفصائل الإسلامية -وخاصة «حماس»- فكانت تغرّد في وادٍ من التهيؤات المخلوطة بالمراهقة النضالية وفهم بدائي سطحي للدين. لذلك كان من الاجتماعي الاقتصادي، إذ لم تكن معركة الوعي مربوحةً، كما أن الفصائل اليسارية التي طرحت نفسها ممثلة للكادحين كانت مصلحة منظمة التحرير ورئيس أكبر فصائلها «فتح» وزبانيته أن توقع اتفاق أوسلو الذي تنازل عن ثوابت القضية الفلسطينية مقابل «حلّ سلمي» جلب له بساطاً أحمر وأموالاً غريبة. لقد كان حلاً للطبقة الطفيلية التي لا تهمها العودة والخلاص من الصهيونية، على حساب الطبقات الكادحة التي يهمّها ذلك. لذلك فإنه ما لم يكن لجماهير كادحي الشعب الفلسطيني في كل مكان، حزبها هي، فإن كل انتفاضة ستُسرق مثلما سُرقت انتفاضة الحجارة. ذلك هو الدرس المُرّ الذي يجب أن يعي كي نحتفل يوماً ما بالتحرير، لا الذكرى.

(عبد الرحمن المزين)

> كانت إسرائيل تعوّل على أن التحسّن الاقتصادي لسكان الضفة والقطاع، إضافة إلى تخريبها المنهجي لقطاع التعليم سيحقق ما أراده ديفيد بن غوريون

صديقي الشهيد صالح

موسى جرادات

كان يقبل على الحياة بفرح شديد، لا يطيق حمل الأحزان، ودود، يحب الأصدقاء، يتفانى في خدمتهم، جميع من حوله يعرفون كل الصفات النبيلة فيه، يدركون أنه من معدن نادر.

لكنهم لم يعرفوا أيضاً أسراره التي أخفاها عنهم لضرورات يقتضيها عمله المقاوم، ففي الليل كان شخصاً آخر، يتجهز لمعاركه التي يخوضها منفرداً، وأحياناً مع رفاق السلاح.

صالح طحاينة الذي كان يسابق الزمن ليكمّل نصف دينه، كان يرى بضرورة بناء العائلة، ويحب الأطفال، دائماً ما كنا نراه يقف في الشارع، يوزع الحلوى والسكاكر عليهم، يتحدث معهم كأنه منهم، لم يخطر في بال أحد منا، أن يتحول صالح إلى مطارد، يكثّف الاحتلال غزواته للقرية بحثاً عنه، فجاة سقط القناع، أصبح بلا أقنعة، وهذه المرة كان ما يخفيه صالح، أجمل بكثير، لقد حاول التضليل على الجميع في إخفاء حقيقته، لكنه تضليل محمود في هذه الحالة، لم يكن يبوح باي رأي سياسي، يكشف عن توجهه التنظيمي، كان يكتفي بالابتسامة إذا سئل، حتى جاء يوم الانتفاضة الذي داهمنا فيه جميعاً من دون أن تسألنا، كان صالح يعرف مسبقاً على ما يبدو، أننا جميعاً سنلتحق بهذا الزمن، كل على طريقته، وكل بمقدار طاقته، لكن طاقته كانت لا قرار لها ولا حد يوقفها. في زمن الانتفاضة الكبرى، كان يتماهى معها، أو كان الانتفاضة فصّلت على مقاسه، أو هكذا اعتقدنا وقتها، انضم إلى قائمة المطلوبين الذين يطاردهم جيش الاحتلال.

المطارد يعني أن لا سقف فوقه، ولا عنوان له، كما يمكن أن تكون كل العناوين عنواناً له، أيام وأشهر يعيش صالح فيها ذروة المطاردة، حتى تمكن الاحتلال منه، أو هكذا ظن، بعد سنة عاد صالح من السجن، عاد لبيته وحريته، عاد لقريته، عاد لحلمه الأزلي، فهو العاشق للمقاومة، لا شيء يثنيه عن هذا الفعل، في كل لحظة كان يؤسس لفعل جديد. لا أدري وقتها، إن كنت صديقه، أو أحد المقربين منه، ربما كان الخيال يلعب دوراً في صنع الصداقة، فهو القريب الصديق اللصيق للكل، سالته في مرة من المرات، ولا أدري وقتها لماذا اخترته لهذا السؤال، كان السؤال عن الموت، كيف يراه، وهل يخاف منه؟ أجابني جواباً مختلفاً عما سمعته من قبل، لا ألم بالموت، هو كما الولادة، تعود كما بدأت صافياً، صدقاً إجابته صدمتني، لكنها لم تحدث تأثيراً إيجابياً معي وقتها، وأنا الذي كنت أرى الموت يتربص بي، أهيم مذعوراً منه، ولم أكن أدري أني مصاب «باضطراب ما بعد الصدمة» هكذا يسمونه اليوم في علم النفس الحديث. في زمن الاحتلال نصاب بأمراض تتعدى حدود الجسد، تلامس الروح، تترك فيها جروحاً غائرة، تحاول أن تفتك بها، لا نتمكن حتى من معرفة حالتنا أو اسم المرض، بالتالي نحرم من العلاج، اليوم وبعد مرور أكثر من 55 عاماً على احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وصل عدد الأطفال المصابين باضطراب ما بعد الصدمة أكثر من نصف أطفال فلسطين، فلسطين بمؤسساتها الطبية غير مهيأة حتى هذا الوقت للتعامل مع هذه الحالات المرضية وعلاجها. في زمن الاحتلال نصاب بكل أنواع الأمراض ولا نجد الوقت الكافي لعلاجها ولا حتى الإمكانية.

صدمتني إجابته، لكنها كانت البداية لتلمس طريقي، ومحاولة مداواة جراحي الداخلية النازفة، صالح كان قد اختار أن يداوي جراحنا جميعاً، فهو من طينة الأولياء الصالحين، عاد مطارداً مرة أخرى، لكن هذه المرة مختلفة عن غيرها، أصبح سلاحه معلناً ومشهراً في وجه أعدائه، وبدأت لاستكمال مرحلة الدراسة الجامعية، بقي صالح في الأرض التي عشقها، كان فلاحاً فلسطينياً على طراز الأجداد، يعرف المواسم وحملها، ويعرف بالتفصيل الأسماء التي يطلقها الفلاحون على كل الهطلات المطرية في فصل الشتاء، ويعرف أيضاً حاجة الأرض لها، وما هي فائدتها على كل محصول، كان يتقن حراثة الأرض، ورشها بالبذور، وأنا كنت ممن يصابون بـ«الهلع الهستيري» من المعول، الأرض بالنسبة له، لم تكن مقولة مجردة، كانت عالمه الذي عاشه بكل تفاصيله، أذكر أنه قد حصل على العلامة التامة في مادة الجغرافيا، في امتحان التوجيهي، الجغرافيا مهنته وحرفته التي اتقنها، في المنفى وعلى الرغم من شح الوصول إلى الأخبار وقتها، ولم تكن وسائل التواصل الاجتماعي موجودة بعد، كان الإعلام رسمياً، وصلني خبر إلقاء القبض على صالح بعد اشتباك مسلح مع قوات الاحتلال، وأنه أصيب بالرصاص، نقل إلى المستشفى، ثم إلى أقبية التحقيق، ليحكم عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة، ولم ينتظر طويلاً، حتى تمكن من الإفلات من الأسر، بحيلة انطلت على الاحتلال، خرج من الأسر، باسم أسير آخر، أنهى محكوميته، صديقه الشهيد نعمان، انبرى لترتيب هذه المهمة، أشهر وصالح يجوب البلاد طولاً وعرضاً، يحمل سلاحه، والاحتلال لم تصله المعلومة بعد، لأن صالح في الأسر، هذا على ورق الاحتلال، بينما الحقيقة كانت أنه مطارد في أزقة المدن التي احتوته.

> أحضروا صوراً للشهيد براهمة، وهو ممزق الجسد، الصديق أخذ يبكي من وصف صالح، لكن صالح المؤمن الرسالي العقائدي، أسكت صديقه، قائلاً له عصام في الجنة الآن

عاد ليستكمل ما بدأه مع رفيق دربه الشهيد عصام براهمة، لم تهزمه سيوف أوسلو المشرعة في وجه المقاومة، طورد ثلاث مرات، ولم تثنه جروحه التي أصيب بها في اعتقاله الأخير، كان يحلم بوطن حر، يقول أحد رفاقه في الأسر، أن صالح أخبرهم بما فعله الاحتلال به، أثناء فترة التحقيق، حيث أحضروا صوراً للشهيد براهمة، وهو ممزق الجسد، الصديق أخذ يبكي من وصف صالح، لكن صالح المؤمن الرسالي العقائدي، أسكت صديقه، قائلاً له عصام في الجنة الآن. أين نحن؟ أراد الاحتلال إخضاع صالح بتلك الوسيلة، لكن صالح الذي ينتمي لزمن آخر غير زمن الاحتلال، كان يرى صورة عصام من زاوية أخرى، صورة الشهيد الخالد والملهم، في 4 تموز 1996، عثر على الشهيد صالح طحاينة في إحدى الغرف بشقة سكنية في مدينة رام الله مغدوراً به، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة، كانت علامات التعذيب بادية على جسده، كسر في العنق، آثار طعن بالسكين، سيخ مغروزة في قلبه، علامات عنف على الجسد الطاهر، مادة كيماوية مسكوبة على الرأس والجسم، أراد القاتل أن يجعله عبرة لمن يعتبر، فكان له ما أراد، لكن عكس ما يشتهي؛ شقيقه الشهيد سليمان وابن عمه الشهيد عبد الكريم، كان لهم القول الفصل على أبواب القدس والعقولة، وسقط القتلى والجرحى في صفوف الاحتلال، لتصل بعدها رسالة صالح: أنا لن أغيب، ولا حياة بلا حرّية. السلام على صالح وعلى إخوته يوم ولدوا ويوم يموتون ويوم يبعثون أحياء.

أرقام

- 1550 شهيداً، بينهم 40 داخل السجون ومراكز الاعتقال
- اعتقال 100-200 ألف فلسطيني
- إصدار 18 ألف أمر اعتقال إداري
- عشرات الآلاف تعرّضوا للتعذيب خلال استجوابهم
- إصابة 70 ألف فلسطيني، بينهم 40% إعاقات دائمة، و65% شلل دماغي أو نصفي أو علوي أو شلل في أحد الأطراف، بما في ذلك بتر لأطراف مهمة
- هدم مئات المنازل الفلسطينية بشكل كامل

البلاد

ملف

وليد دقة
انتصارنا على كل عجز

بيروت حمود

أتت ميلاد إلى العالم في الثالث من شباط عام 2020، العام الذي مثّل درساً للبشرية أمام الكائنات الصغيرة، غير المرئية تلك التي تنقّلت بيننا ببطء حاصدة أرواح من نحب، في ذلك العام تعرّف سكان الكوكب إلى الحجر المترف؛ حيث انزووا في بيوتهم الدافئة، تناولوا ما يحلو لهم، وكان «سجنهم الاختياري» الكائن في

ذات يوم سألت وليد في مقابلة لـ«الأخبار» كم مرة ينست؟ فأجابني بأن «الياس كلمة كبيرة لا أحبها وأخشى استعمالها. الياس رفاهيّة لا يُمكن لأحد في مثل حالي أن يصل إليها. هذا لا ينفي أنه في بعض اللحظات لم أبلِ من شدة الكوارث التي

السجن البشري الكبير أشبه برحلة إلى النفس، بموازاة عالمنا هذا ظلّ الأسرى الفلسطينيون في سجونهم القاتلة، يقاسون العذابات التي لا تنتهي، ويدورون في دوائرهم المفرغة، يقلبون جراحهم المنسية وحيدين.

في ذلك العام لم نرغب إلا في أن تصيبنا عدوى الحب، بوصول كائن صغير وحيد يحملها في جيناته وكينونته الأولية، كائن وحيد فقط في هذا العالم البائس. وكان هذا الكائن هو ميلاد. تلك الصغيرة التي يشبه وجهها الرسوم الكرتونية الضاحكة في قصص الأطفال. لم تكن ميلاد انتصار الأسير وليد دقة (60 عاماً) وزوجته سناء (50 عاماً) فحسب، كانت انتصارنا جميعاً. انتصار أولئك المظلومين والمسحوقين تحت رحى أحجار الحروب والاحتلالات.

لم يتّسع السجن، ولا العالم حتى، لفرحة وليد وسناء. فالعذاب انتهى بهذا الميلاد، الذي حاربته أجهزة أمن العدو قبل أن يصبح نطفة تهرب من السجن إلى رحم والدتها، وتتكور فيه جنيناً، له ملف أمني في أروقة المحاكم الإسرائيلية. بعد شهرين سيصير عمر الطفلة ثلاث سنوات. في عالمنا، الموازي لعالم الأسرى، يجهد الآباء للاحتفال بميلاد أطفالهم، أعياد ميلاد فارهة، بالونات وساحر وعرض كلاب وأفاع وقرود، العاب للأطفال أغان وصراخ أطفال، وطعام يذهب الكثير مما يتبقى منه إلى سلال القمامة. لم يكن هذا الترف لدى وليد وسناء، فلأب لم يزر طفلته طوال هذه الأعوام الثلاثة إلا من خلف زجاج السجن، في زيارتين تستمر كل منهما 45 دقيقة كل شهر.

لم يتسنّ لوليد رؤية أول سن برز في فك طفلته، لم يكن لديه ترف أولئك الآباء الذين قد يمتنعون عن تهدئة أطفالهم الباكين في ساعات الليل، غير مقدّرين أي نعمة هم فيها. لم يخترع أغنية تنوّم طفلته، لم يرَ خطوتها الأولى، لم يأخذها إلى الحضانة، ولم يحملها حتى بين ذراعيه ويتأمل وجهها الساحر، ذي الخدين الورديين وعينيها الواسعتين مثل عيني غزال. قبل بضعة أشهر فقط سمحت له المحكمة بأن يحضن جسدها ويراها أمامه بلا فاصل زجاجي. كانت الطفلة مصدومة، وبدأت في الصراخ والبكاء، فكيف لطفل أن يحضن والده بحضور كل أولئك السجّانين الأشرار؟

بعد ثلاثة أشهر كان من المفترض أن ينتهي آخر عذاب لوليد، كان سيتحرر من سجنه مئة دون مئة من أحد، خصوصاً أولئك الذين ابتُلي بهم الشعب الفلسطيني، ووصفوه ورفاقه بـ«جنرالات الصبر»، تغطية على عجزهم في تحريره من سجنه الذي بلغ 37 عاماً. لكن الاحتلال أضاف إلى حكمه الأصلي عامين إضافيين، بتهمة تهريب هواتف للأسرى. مع ذلك، تحمّلت سناء ووليد هذا القهر، وانتظرا طويلاً أملاً في أن يكون لهذا الظلم نهاية. نهاية يرى أخيراً فيها ابنته وزوجته ويعيش بينهما في بيت دافئ في مسقط رأسه، مدينة باقة الغربية في الأراضي المحتلة عام 1948.

وفجأة نُقل وليد قبل أيام من سجنه إلى المستشفى إثر هبوط حاد في الدم، هناك أجروا له الفحوصات ليبلغوه باقسى ما قد مر عليه في عمر الأسر الطويل: الإصابة بسرطان الدم!

كيف لكتفي إنسان، كبر وشاب في السجن أن تحملا هذا الجبل العملاق؟ تقول سناء إن «وجع الحياة لا ينتهي، والصبر لا ينتهي أيضاً كما البقين بالحرية»، وهي تخبر أحباءه الكثر بأن زوجها الأسير الذي عانى مثل رفاقه من الإهمال الطبي المنهجي من قبل إدارة سجون الاحتلال، أصيب بمرض «لوكيميا-ALM» (سرطان الدم)، وأن «العلاج الكيماوي سيبدأ بشكل فوري. كنا ننتظر تحرره بعد ثلاثة أشهر، بعد 37 سنة من الأسر، لولا الإمعان في الظلم وإضافة سنتين على محكوميته. لكن ثقتنا بصمود أبي ميلاد ونجاته وخروجه للحرية في أسرع وقت لا تتزعزع. كونوا مع وليد بصلواتكم وأمنياتكم».

ذات يوم سألت وليد في مقابلة لـ«الأخبار» كم مرة ينست؟ فأجابني بأن «الياس كلمة كبيرة لا أحبها وأخشى استعمالها. الياس رفاهيّة لا يُمكن لأحد في مثل حالي أن يصل إليها. هذا لا ينفي أنه في بعض اللحظات لم أبلِ من شدة الكوارث التي حلّت بشعبنا وأمتنا العربية، وجسدت في مشهد طفل متفحم في ملجأ العامرية في بغداد، أو طفلة تُنتشل من تحت الأنقاض في الضاحية الجنوبية بعد القصف الإسرائيلي الهمجي، أو لمشهد المجازر في غزة أو القتل بدم بارد على الحواجز في الضفة. لكنها لحظة وسرعان ما أعود إلى توازني، وبالتالي أنا لا أفكر في الأسر كما تقدّم، بل كتجربة وموقع وزاوية لمشاهدة مجمل الحالة العربية والنضالية».

لكنّ المرض كبير يا وليد، وحين يواجه الإنسان وحشاً حقيراً خفياً مثل هذا من حقه أن تكون له رفاهية اليأس، ينام وليد دقة هذه الأيام في مستشفى برزيلاي، للعلاج من سرطان الدم الذي ظهرت أعراضه عليه قبل سنتين. إلا أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي امعنت في سياسة الإهمال الطبي المتعمد، حتى تفاقم المرض في جسد دقة.

إلا أن وليد، مثل أسرى قبله ومعه، أراد تهم وصلت الأرض بالسماء، فصارت عماد حياة أخرى لهم، يخلقونها من سجن وموت تزرعه إسرائيل في أجسادهم. لكنها لم تقدر. لا اليوم ولا في الأمس ولا في الغد. على النيل من أرواحهم الحرة. لذا فـ«الزمن الموازي» لناقادر على «صهر الوعي» وكشف «سر الزيت» الفلسطيني بـ«سر السيف» الفلسطيني

الرجل الذي لا يهزم

نبيه عواضة

«في غرفة 22 شهيد». وليد في الغرفة، هو الذي وقف أمام مدير السجن تشاشا، رفيق آخر، وهكذا إلى أن يتمكّن الجميع من المشاركة، تحضيراً وقيادة في الجلسات التثقيفية. لن يخصص وقتاً لتفقد حالة زميله في الأسر وابن قريته ومجموعته صالح أبو مخ الذي أصيب باكراً بداء السكري، رافق وليد مسيرة أبو مخ المرضية من حبة الدواء إلى إبرة الأنسولين وما بينهما من انتكاسات، فالآن كل الأسرى طريحو الفراش، وقد بدأت أوجاع الجوع تنخر أجسادهم، وقد مضى اليوم الخامس عشر على الإضراب. ياتي إليّ في ذلك اليوم بعدما تناقص وزني إلى 47 كيلوغراماً، انخفضت درجة حرارتي في مؤشر إلى خطورة وضعي الصحي، ويطلب من إدارة السجن نقلي إلى عيادة السجن على وجه السرعة، قائلاً «لن تكون أيها الشبل (كوني كنت أصغر أسير لبناني في السجون في تلك الفترة) في عداد الشهداء».

يذهب إلى الأسير أنور ياسين، ويحدثه عن اليوم الذي التقاه فيه، وكان ذلك في سجن الرملة بداية عام 1988 حيث كان أنور خارجاً لتوّه من جولات التحقيق، وليد عرف بانور من خلال اصداء عملية جبل الشيخ التي كبدت الاحتلال ثلاثة قتلى، بينهم ضابط، فأراد ما إن عرف بوجود ياسين في سجن الرملة التعرف إليه عن قرب، وحين التقاه يلبس «شورت قصير وبروتيل» قال وليد لأنور «هدول الأهالي، وتقليص مدة زياراتهم لأبنائهم، عدم السماح بالزيارات ما بين الغرف والأقسام، وتقليص وقت الخروج إلى باحة الشمس، التفتيش العاري والمذل للأسرى أثناء تنقلهم بين السجون. بالطبع، لم تكن السياسة وليدة حدث تلك الليلة الشتوية الباردة أوائل عام 1992. سيتعيّن على وليد، الذي يتقن اللغة العبرية جيداً، أن يدير المواجهة التي توّجت بإضراب مفتوح عن الطعام استمر لأكثر من أسبوعين، اشترك فيه قرابة 16 ألف أسير كانوا موزعين على السجون والمعتقلات كافة في حينه. يومها جاء وليد بوجهه الضاحك إلى زنزانتنا وابلغنا قرار تشكيل الهيئة الوطنية العليا لإدارة الإضراب وحل الفصائل لأطرها التنظيمية.

لا وقت الآن للقراءة الذاتية، التي كان يحرص وليد على الالتزام بها، وهو الذي لا يختار لنفسه إلا سريراً قرب نافذة كبيرة مطلّة على ممر الغرف، يتمكن خلال الليل من متابعة تحصيله الأكاديمي عبر المراسلة، في الجامعة العبرية المفتوحة، كان الضوء المتسرّب من الممر هو وسيلته لقراءة درسه، فالسجّان كان يطفئ الأضواء في الغرف، في ساعة معينة وطوال الليل. ولا وقت أيضاً لاختتام النهار بجلسة تثقيفية درجت العادة على أن يديرها وليد، ويحرص في الوقت ذاته على إبلاغ أحد الرفاق، بتكليفه التحضير لإدارة النقاش في اليوم التالي، ومن ثم رفيق آخر، وهكذا إلى أن يتمكّن الجميع من المشاركة، تحضيراً وقيادة في الجلسات التثقيفية. لن يخصص وقتاً لتفقد حالة زميله في الأسر وابن قريته ومجموعته صالح أبو مخ الذي أصيب باكراً بداء السكري، رافق وليد مسيرة أبو مخ المرضية من حبة الدواء إلى إبرة الأنسولين وما بينهما من انتكاسات، فالآن كل الأسرى طريحو الفراش، وقد بدأت أوجاع الجوع تنخر أجسادهم، وقد مضى اليوم الخامس عشر على الإضراب. ياتي إليّ في ذلك اليوم بعدما تناقص وزني إلى 47 كيلوغراماً، انخفضت درجة حرارتي في مؤشر إلى خطورة وضعي الصحي، ويطلب من إدارة السجن نقلي إلى عيادة السجن على وجه السرعة، قائلاً «لن تكون أيها الشبل (كوني كنت أصغر أسير لبناني في السجون في تلك الفترة) في عداد الشهداء».

يذهب إلى الأسير أنور ياسين، ويحدثه عن اليوم الذي التقاه فيه، وكان ذلك في سجن الرملة بداية عام 1988 حيث كان أنور خارجاً لتوّه من جولات التحقيق، وليد عرف بانور من خلال اصداء عملية جبل الشيخ التي كبدت الاحتلال ثلاثة قتلى، بينهم ضابط، فأراد ما إن عرف بوجود ياسين في سجن الرملة التعرف إليه عن قرب، وحين التقاه يلبس «شورت قصير وبروتيل» قال وليد لأنور «هدول الأهالي، وتقليص مدة زياراتهم لأبنائهم، عدم السماح بالزيارات ما بين الغرف والأقسام، وتقليص وقت الخروج إلى باحة الشمس، التفتيش العاري والمذل للأسرى أثناء تنقلهم بين السجون. بالطبع، لم تكن السياسة وليدة حدث تلك الليلة الشتوية الباردة أوائل عام 1992. سيتعيّن على وليد، الذي يتقن اللغة العبرية جيداً، أن يدير المواجهة التي توّجت بإضراب مفتوح عن الطعام استمر لأكثر من أسبوعين، اشترك فيه قرابة 16 ألف أسير كانوا موزعين على السجون والمعتقلات كافة في حينه. يومها جاء وليد بوجهه الضاحك إلى زنزانتنا وابلغنا قرار تشكيل الهيئة الوطنية العليا لإدارة الإضراب وحل الفصائل لأطرها التنظيمية.

لا وقت الآن للقراءة الذاتية، التي كان يحرص وليد على الالتزام بها، وهو الذي لا يختار لنفسه إلا سريراً قرب نافذة كبيرة مطلّة على ممر الغرف، يتمكن خلال الليل من متابعة تحصيله الأكاديمي عبر المراسلة، في الجامعة العبرية المفتوحة، كان الضوء المتسرّب من الممر هو وسيلته لقراءة درسه، فالسجّان كان يطفئ الأضواء في الغرف، في ساعة معينة وطوال الليل. ولا وقت أيضاً لاختتام النهار بجلسة تثقيفية درجت العادة على أن يديرها وليد، ويحرص في الوقت ذاته على إبلاغ أحد الرفاق، بتكليفه التحضير لإدارة النقاش في اليوم التالي، ومن ثم رفيق آخر، وهكذا إلى أن يتمكّن الجميع من المشاركة، تحضيراً وقيادة في الجلسات التثقيفية. لن يخصص وقتاً لتفقد حالة زميله في الأسر وابن قريته ومجموعته صالح أبو مخ الذي أصيب باكراً بداء السكري، رافق وليد مسيرة أبو مخ المرضية من حبة الدواء إلى إبرة الأنسولين وما بينهما من انتكاسات، فالآن كل الأسرى طريحو الفراش، وقد بدأت أوجاع الجوع تنخر أجسادهم، وقد مضى اليوم الخامس عشر على الإضراب. ياتي إليّ في ذلك اليوم بعدما تناقص وزني إلى 47 كيلوغراماً، انخفضت درجة حرارتي في مؤشر إلى خطورة وضعي الصحي، ويطلب من إدارة السجن نقلي إلى عيادة السجن على وجه السرعة، قائلاً «لن تكون أيها الشبل (كوني كنت أصغر أسير لبناني في السجون في تلك الفترة) في عداد الشهداء».

يذهب إلى الأسير أنور ياسين، ويحدثه عن اليوم الذي التقاه فيه، وكان ذلك في سجن الرملة بداية عام 1988 حيث كان أنور خارجاً لتوّه من جولات التحقيق، وليد عرف بانور من خلال اصداء عملية جبل الشيخ التي كبدت الاحتلال ثلاثة قتلى، بينهم ضابط، فأراد ما إن عرف بوجود ياسين في سجن الرملة التعرف إليه عن قرب، وحين التقاه يلبس «شورت قصير وبروتيل» قال وليد لأنور «هدول الأهالي، وتقليص مدة زياراتهم لأبنائهم، عدم السماح بالزيارات ما بين الغرف والأقسام، وتقليص وقت الخروج إلى باحة الشمس، التفتيش العاري والمذل للأسرى أثناء تنقلهم بين السجون. بالطبع، لم تكن السياسة وليدة حدث تلك الليلة الشتوية الباردة أوائل عام 1992. سيتعيّن على وليد، الذي يتقن اللغة العبرية جيداً، أن يدير المواجهة التي توّجت بإضراب مفتوح عن الطعام استمر لأكثر من أسبوعين، اشترك فيه قرابة 16 ألف أسير كانوا موزعين على السجون والمعتقلات كافة في حينه. يومها جاء وليد بوجهه الضاحك إلى زنزانتنا وابلغنا قرار تشكيل الهيئة الوطنية العليا لإدارة الإضراب وحل الفصائل لأطرها التنظيمية.

لا وقت الآن للقراءة الذاتية، التي كان يحرص وليد على الالتزام بها، وهو الذي لا يختار لنفسه إلا سريراً قرب نافذة كبيرة مطلّة على ممر الغرف، يتمكن خلال الليل من متابعة تحصيله الأكاديمي عبر المراسلة، في الجامعة العبرية المفتوحة، كان الضوء المتسرّب من الممر هو وسيلته لقراءة درسه، فالسجّان كان يطفئ الأضواء في الغرف، في ساعة معينة وطوال الليل. ولا وقت أيضاً لاختتام النهار بجلسة تثقيفية درجت العادة على أن يديرها بتوسيع دائرة التفاهمات بين الأسرى، ومدّ جسور قوية في ما بينهم، فكان يحدّث صدقي المقت ابن مجدل شمس المحتلة عن جولانه، كما يحدث صلاح شحادة عن حي الشجاعية في غزة.

لم يلاحظ أحد من الأسرى، حتى الأسير كايد بندر (اتخذته أم وليد - فريدة كما يناديها وليد – ابنها اللبناني بالتبني، فكانت تضع اسم كايد قبل اسم وليد أثناء مناداة الأسرى للخروج إلى زيارة الأهل. وكانت تسأل كايد عن حاجتهم ولا تسأل وليد، لدرجة قال لها مرة وليد ممازحاً «يمّه أنا ابنك كمان بلكي بدي شي كايد ما بيعرفو»). تحوّل وليد إلى عاشق في السجن، بعدما وقع في حب رفيقة دربه المناضلة سناء سلامة. حاولنا استدراجه إلى نقاش عن معنى الحب في الأسر، كيف يمكن لهذه الحياة المجبولة بعقارب الوقت، حرمان وتضييق ومحاصرة للأنفاس حتى، أن تفتح هكذا نافذة في جدار مرصوص رطب، تعلوه السياج والأسلاك الشائكة والأهم أن وليد كان محكوماً بالمؤبد، ولم يكن وقتها قد تحدد حكمه بـ 37 عاماً. كان رد وليد «إن في ذلك معركة أيضاً، لا تقلّ أهمية عن معركة الثقافة والأخلاق والالتزام والكرامة». «وأن تكون إنسانياً يعني أن تكون ذلك، قبل أن تكون أي شيء آخر»، هذا ما كان يقوله وما زال يردده.

وليد دقة الذي أعلن عن إصابته بسرطان الدم، وهو رهن الاعتقال منذ 37 عاماً، ليس بشخصية عادية، هو من جيل القادة الذين نقلوا تجربة الرعيل الأول من الأسرى إلى الجيل الثاني، مع امتياز خاص يسجّل له. تجربة الحركة الوطنية الأسيرة في فلسطين تنقسم إلى مرحلتين أساسيتين، ما قبل عام 1985 وما بعده. في الأولى كان التأسيس الصلب، وفي الثانية كان الاستمرار الذي أخذ مظاهر مختلفة، مع تنوع وتعدّد حالات الأسرى. وليد في هذا المكان هو كل التجربة، كل تجربة الحركة الأسيرة، اختصرها بشخصيته الإنسانية، بسنوات اعتقاله، بإرادته الصلبة التي عنوانها فلسطين، بحبه للحياة وللعلم والثقافة. مثل هذا النوع من الرجال لا يهزمون.

الإهمال الطبي للأسرى «الرعاية القاتلة» على متن «البوسطة»

يوسف فارس

تعيد إصابة الأسير وليد دقة بمرض سرطان الدم تسليط الضوء على ملفّ الإهمال الطبّي الذي تمارسه مصلحة إدارة السجون الإسرائيلية بحقّ

وصل عدد شهداء الحركة الأسيرة نتيجة الإهمال الطبّي المتعمّد حتى هذا اليوم إلى 74

الأسرى. إذ تشير آخر الإحصائيات التي أوردتها دراسة أعدّها «مركز فلسطين لدراسات الأسرى»، إلى أن نحو 700 أسير يعانون أمراضاً يحتاجون معها إلى الرعاية المستمرّة، من بينهم 30 مصاباً بالسرطان، وفق ما ذكره الأسير المحرّر، حازم أبو حسنين، وهو الناطق باسم «مركز إعلام الأسرى». يقول أبو حسنين، في حديثه إلى «الأخبار»: «تمارس سلطات الاحتلال سياسة إهمال طبّي مدروسة، تقوم على المماطلة وتأجيل مواعيد العلاج بشكل دائم، فضلاً عن حصر العلاج بتقديم المسكّنات، مهما كان المرض الذي يعانيه الأسرى». غير أن مصلحة إدارة السجون تجهّز، بشكل دوري، ملفاً طبّياً خاصاً بكلّ أسير، تقدّمه للمؤسّسات الحقوقية الدولية، تظهر فيه كأنها تلتزم بتقديم الرعاية الطبّية للأسرى المرضى على أتمّ وجه. وفي هذا الإطار، بلغت أبو حسنين إلى أنه «إذ طُلب من إسرائيل مثلاً، تقرير عن حالة الأسير ناصر أبو حميد، فهي ستقدّم ملفّاً مكوّناً من 300 صفحة على الأقلّ، يحوي معلومات تفصيلية عن زيارة الأسير للمستشفى وعرضه على الطبيب». مستدركاً بأن «كلّ تلك الزيارات تتمّ بشكل شكلي، من دون علاج حقيقي، والهدف منها هو تعبئة الأوراق والمستندات، التي يقرّ على صدقيّتها الأسير المريض ذاته، من دون أن يمتلك القدرة على توضيح حقيقة تلقّيه الرعاية الصحّية من عدمه، لأحد».

مسلخ الرملة

تقترن أخبار الأسرى المرضى، عادةً، بمستشفى سجن الرملة (سيّئ الذكر)، يقع المستشفى داخل السجن، ويبعدّ قسماً من أقسامه، ويحوي ثماني غرف، يقبع فيها 15 أسيراً بشكل دائم، هم أصحاب الأمراض المزمنة، فيما يتردّد العشرات من الأسرى على «الرملة» لأيام وأسابيع ليتلقّى العلاج، الذي يكاد ينحصر ببعض أنواع المسكّنات. يُضاف إلى ما تقدّم أن المرضى في المستشفى يعاملَون معاملة الأسرى، من دون أيّ مراعاة لحالتهم الصحّية، إذ يتعرّضون للقمع والتنكيل والتفتيش ومصادرة الأغراض والعقوبات المستمرّة، وحتى حرمانهم من الدواء في بعض الأحيان، إلى حدّ دفع بعض الذين عاشوا داخله إلى تسميته «مسلخ الرملة». وبحسب شهادة عائلة الأسير المريض، خالد الشاويش، فإن الأسرى في «الرملة» يهربون من الألم من خلال ساعات النوم الطويلة. تقول زوجة الشاويش، في حديث إلى «الأخبار»: «منذ سنوات، لم يطرأ أيّ تحسّن على صحّة أيّ من الأسرى الذين يقيمون في الرملة، أغلبهم مقعّدون على كراسٍ متحرّكة، ويعيشون على المسكّنات والمنوّمات (...) بيئة المستشفى غير نظيفة، والعاملون من طاقم طبّي وأطبّاء، أسوأ من السجّانين أنفسهم».

«عربة الموت»

يسمّي أبو حسنين، الرعاية الطبّية التي تقدّمها مصلحة إدارة السجون للأسرى، بـ«الرعاية القاتلة». ويوضح الأسير المحرّر الذي واكب عشرات الحالات المَرَضية، في حديث إلى «الأخبار»، أن «رحلة النقل من السجن إلى المستشفى هي رحلة عذاب. أذكر أن أحد زملائي الأسرى اضطرّ إلى إجراء عملية بواسير، وطبعاً أُجريت له العملية وهو مقيّد القدمين واليدين بالسرير، وبعدما انتهت، أجبرَ على الوقوف على قدمَيه مباشرة للانتقال من مستشفى السجن إلى السجن الذي بقيم فيه». وللطريق من المستشفى إلى السجن حكاية أخرى، يلخّصها أبو حسنين بالقول: «يَجري نقْل الأسرى المرضى الخارجين لتوّهم من عمليات جراحية، عبر "البوسطة" أو ما نسمّيه "عربة الموت"، وهي باص حديدي أزيلت كلّ أجزائه، ولم يبقَ فيه إلّا الحديد، وقُسّم إلى عدّة زنازين، وخلال نقل الأسرى يتفنّن سائق البوسطة في تغيير سرعته وضرب الفرامل المفاجئة والوقوع في الحفر، ليزيد من عذاب المرضى الذين يجلسون على الحديد».

تلك الإجراءات تجعل من تحمّل أعباء المرض وأهواله، أقلّ وطأة من الانتقال للعلاج في أيّ سجن خارجي أو في «الرملة»، إذ يعود الأسرى من السجن عادةً بأوجاع وآلام أكثر من تلك التي ذهبوا بها. كذلك، تُماطل مصلحة إدارة السجون في تقديم العلاج، وفق ما يؤكد أبو حسنين، قائلاً: «عايشتُ هذه الحالة مع الأسير ميسرة أبو حمدية عام 2013، حيث ماطلت قوات الاحتلال خمسة أشهر في بدء علاجه، على رغم أن العلاج هو ظاهري بروتوكولي، إذ يرسل المريض إلى المستشفى ليُكتب في التقارير أنهم يقومون بالمتابعة، ومن ثمّ يقدّمونها إلى المحامين والمؤسّسات الدولية (...) لا يوجد أسير عولج منذ عام 1967. جميع أسرى الأمراض المزمنة ماتوا شهداء متأثّرين بمرضهم داخل السجن أو خارجه». جدير بالذكر أن عدد شهداء الحركة الأسيرة نتيجة الإهمال الطبّي المتعمّد، وصل حتى هذا اليوم إلى 74، بشكلون ما نسبته 35% من إجمالي الشهداء الأسرى الذين يبلغ عددهم 227.

أبرز المحطات

وليد دقة، مواليد عام 1962 في باقة الغربية. عمل ضمن جهاز سري في الداخل المحتل. اعتقله الاحتلال في 25 آذار 1986 ووجه إليه تهمة الانتماء إلى «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» وحيازة أسلحة ومتفجرات، والقيام بعمليات فدائية داخل فلسطين المحتلة عام 1948، وأهمها خطف جندي لمبادلته بأسرى فلسطينيّين وعرب في سجون الاحتلال. حكم عليه بالسجن المؤبد (37 عاماً) وقد أضيفت سنتان إلى محكوميّته عام 2017. واصل تحصيله الأكاديمي في المعتقل حتى نيله درجة الماجستير في العلوم السياسية. قاد العديد من المعارك النضالية داخل الأسر. وانضم إلى صفوف «حزب التجمع الديموقراطي» وهو داخل الأسر. وتزوج عام 1999 وهو في الأسر أيضاً بالمناضلة سناء أحمد سلامة ليشكل سابقة في تاريخ الحركة الأسيرة. رزق بطفلته ميلاد بعد 21 عاماً عبر نطفة محرّرة. وأعلن عن إصابته أخيراً بـ«لوكيميا ALM - سرطان الدم». كتب العديد من الأعمال الفكرية والأدبية والأكاديمية والفنية، منها:

«يوميات المقاومة في مخيم جنين» 2002 (2004)، «صهر الوعي أو إعادة تعريف التعذيب» (2010)، «الزمن الموازي» (2011)، «حكاية سر الزيت» (2018).

الأخبار
al-akhbar
السبت 10 كانون الأول 2022 العدد 4799

صورة وخبر

بحضوره، افتتح الفنان السوري المقيم في ألمانيا بطرس المعرّي (1968)، أمس الجمعة معرضه الجديد «سُمٌّ في الهواء» في غاليري «كاف» للفن المعاصر (مقابل كنيسة مار نقولا ــ الأشرفية/ بيروت)، حيث يستمرّ لغاية 18 كانون الأوّل (ديسمبر) الحالي. يستمدّ الحدث اسمه من عنوان رواية جبّور الدويهي (1949 ــ 2021)، ويقدّم تحية للروائي اللبناني الذي غادرنا العام الماضي. ومن خلال الدويهي، يوجّه المعرّي تحية «لبيروت... المدينة التي آست، ومازالت، كما غيرها من المدن في هذا الشرق الحزين»، وفق مايؤكّد في حديث لـ «الأخبار». ويضيف: «يحمل الاسم معنيَين: أوّلهما سياسي وحاضر في الرواية، فيما يخصّ ثانيهما الوباء الذي انتشر وحبسنا جميعاً». اسم المعرض هو اسم عمل فنيّ أساسي فيه (الصورة): «لوحة ثلاثية تتناول العنف الدائر في بلادنا». ويشرح بطرس أنّ هناك ثلاثية أخرى بعنوان «المعمعة» أو «الثلاثية السورية»، من بين 40 عملاً تقريباً تتناول مسائل مختلفة، أُنجزت على قماش وعلى ورق. (للاستعلام: 01/334984)

نبض المدينة

بيروت «تترَوْحَنْ» بالموسيقى والغناء

بدءاً من اليوم، ستكون بيروت على موعد مع فعاليات مبادرة «حسن الجوار» التي تنظّمها «الجامعة الأميركية في بيروت» بالتعاون مع «مسرح المدينة» تحت عنوان «الجار للجار». أمسيات موسيقى وغناء، ستملأ الفضاء الفنّي والثقافي العريق لغاية 23 كانون الأوّل (ديسمبر) الحالي. أما الهدف، فهو أن «تترَوْحَنْ بيروت»!

عند الرابعة من بعد ظهر اليوم، ينطلق الحدث مع مسيرة الميلاد من بوابة الـ AUB الرئيسية إلى «مسرح المدينة» الذي يستضيف السوبرانو غادة غانم والشاعر طلال حيدر في أمسية شعر وغناء بعنوان «ريحة شتي». العنوان يحيل إلى ألبوم غانم الذي صدر قبل سنوات، نسبةً إلى قصيدة حيدر، شأنها شأن كل القصائد التي حواها الألبوم المذكور. غادة غانم، الفنانة ستؤدّي بعض أعمالها برفقة عازفة البيانو أولغا بولون، ويقرأ شاعرنا الكبير بعضاً من قصائده.

«شو بحب غنّيلك»، هو عنوان السهرة المخصصة لأميمة الخليل وفرقة الموسيقى العربية لبرنامج «زكي ناصيف للموسيقى» في الـ AUB في 19 كانون الأوّل. يستمدّ النشاط اسمه من أغنية الخليل التي كتبها جرمانوس جرمانوس وألّف موسيقاها هاني سبليني الذي يحلّ ضيفاً عليه أيضاً. في اليوم التالي، يحين موعد «أين تغيب؟» لـ «جيلان» التي تجمع الفنان خالد العبد الله (غناء وعود) بابنه آدم (غناء، بيانو، كيبورد)، وأسامة الخطيب (غناء، باص، كونترباص) بابنه إبراهيم (درامز). أمسية فيها الجاز والصوفي والروك والطرب ضمن خلطة جديدة.

تجتمع دونا خليفة (غناء وكونترباص) بختشاتور سافزيان (كونترباص)، في 21 كانون الأوّل في سهرة «الثنائي لوتس» التي تدور في فلك الجاز، وتتمتّع ببرنامج متفرّد ومنوّع مؤلّف من موسيقى العالم بتوزيع جديد خاص بالفنانَيْن.

بعدها (22/12)، تحجز «رند» مكانها. الفرقة التي تأسّست عام 2013 على يد الإخوة يوسف (بيانو وغناء) وليلي (غناء) وجمال أبو حمد (غناء)، تلتقي الجمهور تحت عنوان «حكي ما نقال»، تيمّناً بالأغنية التي أطلقتها العام الماضي. تجري الحفلة بمشاركة العازفَيْن كمال مرقص (أكورديون) ونادر مرقص (رق)، وتتضمن أغنيات «رند» الخاصة وأخرى شرقية راسخة في الذاكرة بنكهة جديدة.

«كورال الفيحاء» هو نجم الختام، إذ يُسدل الستار على «الجار للجار» بأمسية ميلادية تحت عنوان «ليلة عيد»، سيقودها كما جرت العادة المايسترو بركيف تسلاكيان.

«الجار للجار»: اليوم السبت و19 و20 و21 و22 و23 كانون الأوّل 2022 . الساعة الثامنة والنصف مساءً . «مسرح المدينة» (الحمرا . بيروت). للاستعلام: 01/753010

«مفكرة «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب

ماذا نسيت تغريد؟

■ قبل اختتام فعالياتها غداً الأحد، تستمرّ الأنشطة في الدورة الرابعة والستين من «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب». في هذا السياق، يوقّع الكاتب والصحافي عبد الرحمن نصّار، اليوم السبت قصّة مخصّصة للأطفال الذين تراوح أعمارهم بين سبع وتسع سنوات، في جناح «دار الساقي» (A30). تغريد طفلة ذكية جداً لكنّها نسيت شيئاً مهماً جداً. ما هو؟ سؤال سيجد الصغار إجابته في «ماذا نسيت تغريد». يضمّ الكتاب رسومات للرسامة الكينية إيلين ماغيسون التي تعاونت مع كبار النّاشرين الأستراليين في أكثر من 15 كتاباً، وفي جعبتها جوائز عدّة وتقديرات.

توقيع «ماذا نسيت تغريد؟»: اليوم السبت . الساعة الرابعة بعد الظهر . جناح «دار الساقي» (A30 . سي ساید أرينا/ واجهة بيروت البحرية)

علي حمادي بين الواقع والنقد

■ تدعو «دار الفارابي» والكاتب علي حمادي، اليوم السبت إلى حضور احتفال توقيع مجموعته القصصية «نصفي الأسفل». يتضمّن العمل قصصاً واقعية ونقدية تتناول مواضيع إشكالية مختارة، بأسلوب «جديد في السرد وبناء القصة والتزام وحدة الزمان المعاصر والمكان الحاضر، بكلّ تراثه عند المتمكّن فيه»، وفق ما يرد في مقدّمته.

توقيع «نصفي الأسفل»: اليوم السبت . الساعة الرابعة بعد الظهر . جناح «دار الفارابي» (B6).

واسيني الأعرج: موعد مع «عازفة البيكاديللي»

■ بدءاً من الخامسة من مساء اليوم السبت، يوقّع واسيني الأعرج (الصورة) كتابه الجديد «عازفة البيكاديللي» في جناح «دار الآداب». في هذا العمل، يستعيد الروائي الجزائري «مسرح البيكاديللي». المعلم البيروتي الشهير الذي شكّل ذاكرة ثقافية لأجيال متعاقبة عدّة. بُنيت الرواية على الحقيقي والمتخيّل، حيث تمحي الحدود، من خلال حياة «لينا جوزيف»، عازفة «البيكاديللي» الأساسية التي تجد نفسها بعد حرقه بين فنادق العاصمة اللبناني تبحث عن عمل. تكشف الرواية عن أسرار «لينا»، زواجها بضحية من ضحايا فندق «بو ـ ريفاج»، مغامرتها المجنونة مع المصوّر ماسي دالبيو الذي أحبّته صدفةً، قبل أن تلتقي به ثانيةً بعد ثلاثين عاماً، ونضالها اليومي لإعادة «قصر البيكاديللي» إلى الحياة.

توقيع «عازفة البيكاديللي»: اليوم السبت . الساعة الخامسة مساءً . جناح «دار الآداب».

لبنان... كيان مهزوز

■ عند الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم السبت، ينطلق احتفال توقيع كتاب «لبنان الكيان المهزوز ـ من بشارة الخوري إلى ميشال عون» لمحسن دلول (الصورة) في جناح «دار نوفل/ هاشيت أنطوان». وفي النص التعريفي الخاص بالإصدار الجديد، يقول الوزير والنائب السابق إنّ الواقع المزري الذي يعيشه اللبنانيون مع تطوّرات دراماتيكية خطيرة خاصة مع اتساع دائرة التطبيع العربي مع العدو الإسرائيلي، «يجعلنا نتساءل حول مصير ودور لبنان في الخريطة الجيو ـ سياسية الجديدة. و في عملية البحث عن أجوبة مقنعة، لا بد من العودة إلى ظروف نشأة دولة لبنان الكبير وما رافقها من أحداث وكيف تفاعلت مع قضايا المحيط من نكبة فلسطين حتى صفقة القرن». ويضيف أنّ هذا الكتاب، بما يتضمنه من سرديات ووقائع تاريخية، ومن خلال سياقاته التحليلية عن عهود الحكم المتعاقبة في لبنان من رئاسة بشارة الخوري إلى ميشال عون، «يحاول الإجابة عن هذه التساؤلات».

توقيع «لبنان الكيان المهزوز»: اليوم السبت . الساعة الرابعة بعد الظهر . جناح «دار نوفل/ هاشيت أنطوان».

سامي كليب يكشف «وثائق الغرف السوداء»

■ وفي الجناح نفسه، سيكون روّاد المعرض على موعد مع الإعلامي سامي كليب (الصورة) الذي سيوقّع كتابه «تدمير العالم العربي: وثائق الغرف السوداء». يعود العمل إلى الأيام الأولى لـ «الربيع العربي»، قارئاً بهدوء في أحداث تاريخية، تفسّر وقائع كثيرة. سيجد القارئ أيضاً رواية جديدة عن اختفاء السيد موسى الصدر، وسيكتشف بنفسه نتائج تقسيم السودان وتأثيراته على الأمن الغذائي، مع حضور لفلسطين من زوايا متعددة. ومن القضايا الاستراتيجية والأساسية في العالم العربي التي يتناولها، نذكر: سوق السلاح، الحريات الدينية، سرقة الآثار، تجارة الأعضاء البشرية.... كما يقدّم كليب ثلاثة سيناريوات للحرب المقبلة بين إيران وإسرائيل، وموقع العرب فيها.

توقيع كتاب «تدمير العالم العربي: وثائق الغرف السوداء»: اليوم السبت . الساعة السادسة مساءً . جناح «دار نوفل/ هاشيت أنطوان».

العلّامة المجدّد

■ تحت عنوان «الشيخ محمد جواد مغنية ـ علّامة مجدّداً (1979 ـ 1904)»، أصدر الأكاديمي والكاتب والباحث اللبناني محمد عبد الله فضل الله كتاباً عن «دار النهضة العربية»، سيوقّع في جناحها في «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» اليوم السبت. يحتوي الكتاب على مقالات منوّعة لمغنية نشرت في مجلة «رسالة الإسلام» التقريبية، وبعضاً من كتاباته في مجلة «العرفان» اللبنانية. وحاول فضل الله الكشف عمّا استبطنته من آراء، وما تميّزت به من منهجية ومواصفات من أجل تكوين فكرة عامة عمّا قدّمه الشيخ من مقاربات، فضلاً عن المنهج الذي اعتمده، ما تميّزت به لغته وأسلوبه.

توقيع «الشيخ محمد جواد مغنية ـ علّامة مجدّداً (1979 ـ 1904)»: اليوم السبت . الساعة السادسة والنصف مساءً . جناح «دار النهضة العربية» (سي ساید أرينا . واجهة بيروت البحرية).

هدى عيد تكتب الوجع الإنساني

■ تنظّم «دار الفارابي» اليوم ندوة حول رواية «حبيبتي مريم» لهدى عيد(الصورة)، بمشاركة الأميرة منى رسلان، جان توما وحبيب يونس. على أن تتولى إدارة النشاط نازك بدير، ويليه توقيع للكتاب. يضيء العمل على الوجع الإنساني بأسلوب سردي يعتمد على التشويق. كل خيط من خيوط النص ينسج لوحة داخل اللوحة الكبرى، فيما تتداخل اللوحات بعضها ببعض محقّقة المشهد الكلّي. رواة عدّة يروون الأحداث كلٌ منهم وفق منظوره بضمير المتكلّم، ومن موقعه الزماني والمكاني، فتتداخل الأزمنة، ويتشكّل «زمن روائي مختلف عن الزمن الخطي الطبيعي»، وفق ما يرد في نصّ الناشر.

ندوة وتوقيع رواية «حبيبتي مريم»: اليوم السبت . الساعة الحادية عشرة صباحاً . «قاعة الندوات».

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 10 كانون الأول
العدد 4799 السنة السابعة عشرة
Samedi 10 Decembre 2022 nº 4799 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

بيروت زهرة
في غير أوانها
بيروت ماحلاها
وماحلا زمانها
بيروت يا حينها
ويا ضيعانها
تدبل على امها
وتموت بيروت

* من قصيدة «بيروت» لعمر الزعني الذي صدرت له أخيراً «القصائد الممنوعة» (دار نلسن ــ و«نادي لكل الناس»)

رانيا مطر ــ «نور، بيروت، لبنان» (2017 ــ تفصيل)

ملف

عمر الزعنّي... عبقري الفن الشعبي وشاهـد على تاريخ لبنان

خمسون قصيدة «ممنوعة» جمعتها «دار نلسن» بالتعاون مع «نادي لكلّ الناس» لتصدر أخيراً في كتاب «عمر الزعنّي – القصائد الممنوعة» الذي تُقام حوله ندوة اليوم ضمن «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب». متمرد ثائر، ومناضل سياسي، كتب تاريخ بيروت بأغانيه، بيروت بأغانيه، بيروت بدايات القرن الماضي التي وقف التاريخ عندها رابضاً في مكانه، فلم تتحرك قيد أنملة منذ ذلك الوقت. لا مفرّ من استعادة الزعني هذه الأيام، فكلماته تحفر عميقاً في الذاكرة السياسية اللبنانية، بل إنها لا تزال ابنة اليوم والساعة.

عماد إدريس

عندما وُصف بـ «موليير لبنان»، ردّد عمر الزعنّي (1895 ــ 1961): «ولماذا لا يكون موليير هو زعني فرنسا؟». هكذا كان «ابن البلد» ــ لقبه الأحبّ ــ يضع «لبنان أولاً»، فعلاً لا قولاً، وتطبيقاً لا ترديداً على الألسن فقط كما يفعل سياديّو هذه الأيام. أحد أعظم الهجائين بين شعرائنا، هجاء الحقّ لا هجاء الابتزاز، «شاعر الشعب» و«فيلسوف النكتة» و«موليير الشرق» و«فولتير العرب»... ألقاب كثيرة طبعت مسيرته، إلا أنه بعيداً عنها، يبقى الزعني بحق رائد فنّ «المونولوج الشعبي في لبنان» وصوت المهمّشين، أنشد للعتّالين والكناسين والسائقين، حاملاً حكايات الناس على بحور شعره، فكان الغوّاص الأقدر على التقاط آلام الموجوعين وتغليفها بطابع السخرية حيناً، والتورية أحياناً.

> مَن استطاع التقاط نبض الناس ووجعهم كما فعل، سَهُل عن ساعديه

اول فنان يدخل السجن بسبب اغنيته «جددلو» التي قدّمها في زمن زعيمي عهد الاستقلال بشارة الخوري ورياض الصلح

كاشفاً عورات انقسام المجتمع بين غنى فاحش وفقر مدقع، انتقد انتفاخ الأغنياء وازدياد الفقراء فقراً، أشار إلى مكامن الخلل وتفشّي المحسوبيات وتغلغل الجشع والطمع. قلما نجد فناناً لبنانياً استطاع إيجاز تاريخ بلد وتطوّر مراحله السياسية المتعاقبة بأغانيه، فاستحال وثيقةً بصريةً سمعية ترصد التاريخ الاجتماعي والسياسي لفترات تأسيس الجمهورية اللبنانية. متمرد ثائر، ومناضل سياسي، كتب تاريخ بيروت بأغانيه، بيروت الأسواق والخيل والليل، بيروت بدايات القرن الماضي التي وقف التاريخ عندها رابضاً في مكانه، فلم تتحرك قيد أنملة. كما كانت، بقيت، ومواطن الخلل التي فكّكها الزعنّي شعراً، تناسلت أوجاعاً لغاية اليوم. لا مفرّ من استعادة الزعنّي هذه الأيام لكشف صعوبة المأساة التي نحياها. كان والده مختاراً لمحلة الظريف، متبحّراً في الدين، ومتصوّفاً بارزاً يتبع الطريقة الشاذلية، يملك متجراً للحبوب في محلة مينا القمح في مرفأ بيروت. ولد عمر في محلة زقاق البلاط، وفي سن الثامنة، أدخله والده الكلية العثمانية لصاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهري. هكذا، انضم إلى زملائه الأديب عمر الفاخوري، الشاعر عمر حمد، الأخوان محمد ومحمود المحمصاني، محمد عز الدين، عبد الله المشنوق، رياض الصلح، عبد الغني العريسي، والدكتور مليح سنو. ثم التحق عمر بفرقة المدرسة الموسيقية، وظل فيها حتى تخرّجه عام 1914. عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، سافر إلى حمص ملتحقاً بالمدرسة الحربية التي تخرّج فيها برتبة ضابط إداري. عيّن مديراً للإعاشة الخاصة بالجيش في الشام، وظلّ في عمله طيلة الحرب العالمية، متنقلاً بين الشام والقدس وبئر السبع في فلسطين. لم يعد إلى بيروت إلا مع نهاية العهد العثماني عام 1918. بعد عودته، عمل مديراً على راس الكلية الإسلامية عام 1919، ومدرّساً للموسيقى في «المدرسة الأهلية» لصاحبتها ماري كسّاب، وكاتباً في محكمة البداية في قصر العدل. لكن رحلته الحقيقية مع الشعر، بدأت مع قصيدة «الحجاب» التي انتقد فيها ما دارَ من معارك لفظية في مصر بين أنصار الحجاب وأنصار السفور:

«الدنيا قايمة والشعب غافل
راحت بلادكم ما حدّ سائل
شوفوا البلايا، شوفوا الرزايا
والشعب قايم على الملاية»

في بدايته، استخدم الاسم المستعار «حنين»، خصوصاً مع زمالئه الأولى لمناضلي الاستقلال، ثم اتت مرحلة الانتداب الفرنسي لتبدأ مسيرة الزعني الفعلية بنقله هموم الإنسان في أسلوبه الشعبي المتفرّد والمتمرّد على الواقع، فأنشد في إحدى المناسبات في «سينما كريستال» مفاجأ الجميع:

«حاسب يا فرنك، يا فرنك حاسب،
فهمنا فين بعدك ساحب،
ما خلّيت لا مُحبّ ولا صاحب،
أهلك جفوك والأجانب:
فرحانين، شمتانين،
ناويين محوك، ما بناسب،
يا فرنك، دخلك حاسب»

سريعاً، أصبحت «يا فرنك» التي انتقد فيها محاولة فرنسا إنقاذ عملتها المتدهورة على كل شفة ولسان، وبدأت التساؤلات عن صاحب هذه الروح المتوثّبة لقول الحق وسط علّية القوم بحضور رئيس الجمهورية شارل دباس، ورئيس مجلس الأعيان الشيخ محمد الجسر وغيرهما، ولتبدأ خطواته الفعلية في عالم الشعر والفن رغم معارضة والده على تركه عمله في القضاء قائلاً له: «يا ضيعانك ويا خسارة علمك يا عمر، صرت مهرّج». ثارت ثائرته على شارل دباس بعدما أمر باعتقاله، ليصبح أكثر عنفاً وقسوةً نقدية، ولكن مع القليل من التمويه، فأنشد منتقداً «الريس شارل دباس» في الأغنية التي أطلقته نجماً في سماء الفن:

«بدنا بحرية يا ريس
صافيين النية يا ريس
بزنود قوية يا ريس
أبداً ما تحلّس يا ريس
البحر كبير يا ريس
بحرية حمير يا ريس
فرحان كتير يا ريس
لأنك ريس يا ريس
بس قاعد صورة يا ريس
وبالاسم ريس يا ريس
الموج جبال يا ريس
قطّاع حبال يا ريس
ما كان عالبال ريس
تتنصب ريس يا ريس»

بأعلى الأغنية أكثر من 25 ألف أسطوانة متربّعة في الصدارة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، لتصبح إحدى أشهر أغاني الزعني في مسيرته وأيقونة انتقادية ردّد كلماتها الشعب اللبناني كلما تأزمت أوضاع الحكم في لبنان وما أكثرها.

أعجب الموسيقار محمد عبد الوهاب بالأغنية، وبقيت في باله الى أن زار لبنان طالباً سؤال عمر الزعني إن كانت الأغنية من ألحانه أو مقتبسة، منثوراً بعد إسقاط ورقة المقترع في الصندوق، ردّد لها الزعني: «أول بدّ من الأربعين... بخلي السما تشتي طحين... والأرض تنبع بزرين... بس انتخبوني نايب... وبزرع قطن وبزرع صوف... بأرض المتن وأرض الشوف... ما بتصدق بكره شوف... وتفرج عالعجايب». وعن شراء الأصوات، قال: «بيبيع صوته بعشرين ليرة... ويقول يا أهل الغيرة... سرقوا الكون نهبوا الميرة... أكلوا البيضة والتقشيرة... والشعب المسكين عالحصيرة.. ولعل الأبرز في هذا المضمار، وصفه الأشهر للمعضلة السياسية اللبنانية وتعقيداتها: «كيكي كيكي ما بيفهم فيكي لا خبير بلجيكي ولا طبيب مكسيكي».

لم يوفر الزعني مسؤولاً إلا وانتقده. كانت سلوكيّات الجميع وأفعالهم تحت مجهر ومشرط قلم الزعني حتى باتوا يخشون أن يطالهم «طول لسانه». مع ازدياد الضغوط السياسية عليه، انتقل إلى القاهرة حيث فوجئ بالسيطرة الواسعة لسلطات الاحتلال، فأنشد قصيدة لبّدت غيوم علاقته مع المحروسة:

«يا سي عبدو
إزاي تخلّي الرومي سيدك
وانت عبده؟»

عقب ذلك بدأت مرحلة جديدة من حياة عمر الزعني الشعرية بانتقاله من نقد الشخصيات السياسية إلى النصح والتقويم والإرشاد في شعره على مواطن الخلل في بنية النظام الإدارية، وتركيزه على هموم البسطاء والفقراء والمعوزين، فكان صوتاً للمهمشين والكادحين والمعوزين، فنظم في هذه الفترة عدداً من أبرز قصائده منها «لا تقول إنك شريف»:

«لا تقول إنك شريف،
قول إني خايف من الجرصة،
وإن كنك لسه نضيف،
أكيد ما صار لك فرصة،
حتى تغش وتقلل دين،
حرمانك مش عن عفة،
ولا عن ذمة ولا عن وجدان».

بعد انتهاء ولاية بشارة الخوري وبعد تنقلاته المستمرة بين «الرملين» منزله في رمل الظريف وسجن الرمل، أصاب التعب عمر الزعني فزهد في سياساته التي اختتمها بقصيدة نارية

«على أيام الانتداب
عهد الظلم والإرهاب
ما كنت خاف ولا هاب
لا حكومة ولا نواب
اليوم بحسب ألف حساب
صرت أحسب للأدناب»

وتعتبر الفترة الأخيرة في حياته بين عامَي 1951 و1961 حين وفاته وبحسب دراسة ليوسف قاسم، أشدّ الفترات ركوداً وأقلّها إنتاجاً في مسيرة الزعني النقدية السياسية بعد اعتدال صحته وميله إلى الهدوء بعد صخب الحياة التي عاشها، فانكفأ في صومعته يكتب بعضاً من خواطره الاجتماعية ومنها ما لخّص فيها حال أيامه الأخيرة بقوله:

«بسكت بيقولوا قابض
بحكي بيقولوا معارض
لا مريض ولا متمارض
قاعد ببيتي رابض»

بورتريه لعمر الزعني (عن صفحة «تراث بيروت» على فايسبوك)

* ضمن فعاليات «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب 64»، تقيم «دار نلسن» بالتعاون مع «نادي لكل الناس»، ندوةً حول كتاب «عمر الزعني ـ القصائد الممنوعة» يشارك فيها: محمد كريم، زياد دنون، أحمد قعبور وسليمان بختي. يتخلل الندوة عرض وثائقي «تحية إلى عمر الزعني» (إخراج رنا المعلّم ـ تقديم نجا الأشقر) مساء اليوم (س:17:00) في قاعة المحاضرات في المعرض المقام في «سي سايد أرينا»

قصائد سياسية عبّرت عن المزاج الشعبي

محمد ناصر الدين

«الكرسي معشوق فنّان/ عشّاقه بكل البلدان/ ينسف عقل الإنسان/ بيفرّق بين الإخوان/ بيذلّ من كان له شان/ ويغلي قدر الغليان/ اللي خلقه كان شيطان/ الشيطان خلق الكرسي... أكبر قائد لو جابوا/ عالكرسي بينسى صحابه/ بينسى أهله وحبابه/ وأبوه لو يعصر بابه/ ما بيشوف غير حجّابته/ مين راح يوصل اعتبار/ من يشرّف بجنابه/ ما دام راكب عالكرسي»: إنها قصائد سياسية بامتياز يأخذ فيها شاعر بيروت عمر الزعنّي، بالنقد السياسي اللاذع إلى مداه الأقصى وبالوسيلة الأمضى أي الشعر الشعبي الذي يسهل حفظه وترداده في الشوارع والمدارس والمقاهي فيصعب بالتالي الإمساك به من أجهزة الرقابة التي تترصد الكلمة المشاغبة والقصيدة التي تعبّر عن المزاج الشعبي: خمسون قصيدة «ممنوعة» جمعتها «دار نلسن» بالتعاون مع «نادي لكلّ الناس» وظهرت أخيراً (2022) في كتاب بعنوان «عمر الزعنّي – القصائد الممنوعة» الشاعر الذي كان يدرّس قبيل الحرب العالمية الأولى تحت نور «فانوس البلدية» كان يدوّن باكراً على جدران المنزل البيروتي بعض ما كان يؤلفه من أشعار. بعد اطّلاع مبكر على الأدب الفرنسي، ولا سيما مسرحيات موليير في المدرسة التوفيقية ومن بعدها الكلّية الإسلامية، تفتّحت موهبة الفتى، الذي خدم ضابطاً في الجيش العثماني في فلسطين أثناء، الحرب الأولى، على يد الشيخ رائف الفاخوري وهو أديب بيروتي توفي عام 1954 اهتمّ بموهبة الزعنّي وأطلقه في ميدان القرّاديات والأهازيج المدرسية. فقدّم معه رواية تمثيلية على مسرح «الكريستال» في بيروت عنوانها «جابر عثرات الكرام». بدأ الزعني شغبه باسم مستعار هو «حُنين» تأثراً بشاعر مغنٍّ عاش في أواخر العصر الأموي هو حنين بن بلوغ الحيري. وبدأ الناس يتناقلون أغاني الزعنّي السياسية والاجتماعية الجريئة، لكنه لم يكن قد اشتهر كثيراً بعد.

القصيدة الممنوعة الأولى للزعني كانت عام 1926 حين دُعي للغناء، في حفلة أقامتها نقابة الصحافة على مسرح «الكريستال». لكنّ الداعين إلى الاحتفال، لم يتوقّعوا ما سيلقيه «حُنين» فوقف على الخشبة لينشد: «حاسب يا فرنك يا فرنك حاسب/ فهّمنا لوين بعدك ساحب/ ما خلّيت لا محبّ ولا صاحب/ أهلك جافوك والأجانب/ فرحانين شمتانين/ ناويين محوك ما بيناسب/ يا فرنك دخلك حاسب». أثارت القصيدة حفيظة السُلطة، فلاحقته قضائياً وتأديبياً وأوقفته وقرّرت نقله من مركز عمله في محاكم بيروت إلى محكمة البترون في محافظة لبنان الشمالي، وبدأت سلسلة المتاعب مع الرئيس اللبناني شارل دبّاس المنصّب من قبل سلطات الانتداب الفرنسي، فثارت ثائرة الزعني عليه في قالب يُستشف منه المديح ويضمر الهجاء السياسي المقذع: «يا هو يا ناس شو عمل الدبّاس/ لا باع بلادو ولا خسر الناس/ ست سبع سنين حكم مسكين/ لا خالف مذهب ولا غيّر دين/ ولا هدم شارع ولا بنى جامع/ ولا هد كنيسة ولا عيّن شمّاس/ مسكين الدبّاس/ خدم أوطانو بقدر إمكانو/ حسب ضميرو، حسب وجدانو/ عمل بأصلو ما ورث أهلو/ ولا طوّل إيدو ولا عيّن كنّاس/ مسكين الدبّاس/ كان كفّو نضيف وعايش عفيف/ بالنسبة لغيرو فضل شريف/ إن كان ما نفع ما زاد الوجع/ ما زاد البلا ولا الإفلاس/ مسكين الدبّاس/ في إيد من فوق بتمشّي الجوق/ إن خالفوها وما كان عالذوق/ بيطير الريّس، بينحلّ المجلس/ بتنهد أركانو من الاساس/ مسكين الدبّاس». بعدها، صعّد الزعني في وجه الرئيس الدبّاس، فأنشد الأغنية التي أطلقته وأذاعت صيته في لبنان والعالم العربي: «بدنا بحرية يا ريّس/ صافيين النيّة يا ريّس/ بزنود قوية يا ريّس/ أبداً ما تحلّس يا ريّس/ البحر جبال يا ريّس/ قطّاع حبال يا ريّس/ ما كان عالبال يا ريّس/ تتنصّب ريّس يا ريّس».

مرحلة الشغب الثانية على السلطة في حياة عمر الزعني كانت أول عهد الاستقلال. على الرغم من صداقته للرئيس بشارة الخوري، إلا أنّ شبهات الفساد التي كانت تحوم حول حاشية الشيخ بشارة وأقاربه، دفعت بالزعني وقد نضج شعره واشتد عود حبكته إلى مهاجمة الفساد والسرقات: «السرقة أكبر صنعه/ أوعى لصابيعك أوعى/ عالنزلة وعالطلعة/ العشرة بترجع سبعة/ ومطرح ما بتوقع وتطب/ شلا لوب». امتلأت بيروت بقصائد «موليير الشرق» الذي كان يستشرف وصول النظام الريعي القائم على الخدمات والزبائنية حصراً إلى مآزقه الكبير: «ما عاد في بهالايام شي كسدان/ حتى الشرف والضمير والوجدان/ على أونو على دويه على تريه/ بس قول وحط إيدك عالجزدان/ كل شي بينباع بهالايام». إلا إنّ القصيدة الشهيرة التي أنشدها الزعني منتقداً التجديد لرئاسة بشارة الخوري لم تمرّ مرور الكرام: «جدّد ولا تفزع/ خليه قاعد ومربّع/ بيضل أسلم من غيرو/ وأضمن للعهد وانفع/ لا تخاف إلا من الطفران/ والمحروم والجوعان/ بيضل بمالك طمعان/ أما المليان والشبعان/ من لقمة صغيرة بيشبع». سرعان ما انتشرت الأغنية التي تتبرم من الرئيس وبطانته كالنار في الهشيم، فأمر بشارة الخوري بسجن عمر الزعنّي مدة ستة أشهر وأودع سجن الرمل في بيروت ليقضي منها 40 يوماً ويخرج بعفو خاص. إلا أن فترة السجن لم تجفّف من قريحة الشاعر الذي ظلّ يشاغب على السلطة كأنه ينطق بلسان حالنا اليوم: «محسوبك أنا اسمي فلان/ من أحسن عيلة بلبنان/ طمعان بحب الإخوان/ ومرشّح نفسي نايب/ أول بند من الأربعين/ بخلّي السما تشتّي طحين/ والأرض تنبّع بزرين/ بلا رسوم وضرايب/ بس انتخبوني نايب».

في «عمر الزعنّي – القصائد الممنوعة»، نستشف عمر الزعني حاملاً روح شعب ومدينة لنقرأ على موشور قصائده الممنوعة تاريخ مرحلة صعبة من تشكّل لبنان الحديث، مؤرّخة بشعر وأغنيات مَن وُصف بأنّه العمود السادس لقلعة بعلبك بعد نعيمة وجبران ومطران وسعيد عقل والريحاني.

■■■

مشروع يرمي إلى توثيق إرثه الفنّي

فاتن حمّوي

هو شاعر الشعب وشاعر الوطن بما تعنيه هذه التسميات من إعلاء الصوت في مواجهة النظام والفساد والظلم والرشى والأحزاب بشقّها السلبي. الزعني أبرز مثال على النضال بالكلمة والسخرية، عانى وسُجن وقُمع ومُنع مرات عدّة من أيام الاحتلال العثماني مروراً بالانتداب الفرنسي وصولاً إلى استقلال لبنان. مُنعت قصائده وخُتمت بالأحمر، وها هي قصائده الممنوعة، تعود متربّعة على صفحات كتاب بعد 61 عاماً على رحيله. مع العلم أنّها تحاكي الوضع الحالي «الحاله هيه هيه، ما بينعطوا وش، كلنا في الهوا سوا، السياسة، ما حدا مبسوط، عجقة وزحمة، احتكار». تظهر القصائد في الكتاب بخط يده وبختم الأمن العام في خانة «الممنوع» بذريعة أنّها تتضمّن كلمات ساخرة وهجائية وانتقادية وسياسية.

تولّى تدقيق «عمر الزعنّي – القصائد الممنوعة» الفنان أحمد قعبور وصمّم الغلاف مروان قعبور. إلى جانب الكتاب، هناك ما هو منتظر على صعيد أغنيات الزعني: حين كانت بيروت «عاصمة عالمية للكتاب 2010»، قدّم «نادي لكلّ الناس» «سي. دي» وكتاباً وفيلماً قصيراً عن الزعني. وفي مسرح «قصر الأونيسكو»، غنّت أربع فرق مختلفة 12 أغنية للزعني. يقول مدير «نادي لكلّ النّاس» نجا الأشقر لنا: «اللقاء مع أقارب الزعني اكتسبنا ثقتهم، ونهدف إلى حمل تراثه في لبنان والخارج. أوكلوا لنا مهمة الحفاظ على تراثه ونشره عبر تسليمنا أرشيفه. وعندما امتلكنا حق النشر قانونياً، حصّلنا حقوق العائلة من البث العلني على مدى السنوات الماضية. ولم يعد عمر الزعني مشاعاً».

وعن الإصدار الجديد، يضيف الأشقر: «أرشيف الزعني الورقي ظهر في كتاب، وكنت على تواصل مع المختار سمير الزعني الملقّب بـ «الزعني الصغير» الذي توفي قبل سنة ونصف السنة، وعملنا جاهدين طيلة السنوات الماضية بمساعدة الفنان أحمد قعبور. أما الشق الآخر الذي من المقرّر أن يصدر في العام المقبل، فهو الشق الموسيقي، إذ قمنا برقمنة مجموعة عمر الزعني الأساسية (فينيل) وأُرسلت إلى فرنسا قبل ثلاث سنوات. المخرجة والمؤرشفة ليانا قصير تتابع عمل الشق الموسيقي مع المؤلّف الموسيقي وعازف العود فهد رياشي هناك. في البداية، تمّت الرقمنة من قبل «المكتبة الوطنية» في فرنسا، وفهد يعمل على كل التفاصيل لتكون الأعمال صالحة للطباعة، والآن يتمّ وضع اللمسات الأخيرة عليها. سنقوم بطرح «سي. دي» بعد أن ينتهي فهد رياشي من العمل عليه مطلع السنة المقبلة، والمرحلة الأخيرة ستكون طباعة «الفينيل» ولكن في مرحلة مستقبلية غير محدّدة حتى اليوم».

يعلن الأشقر أنّ هذا العمل هو نتيجة الحصول على خمسين أسطوانة من عائلة الزعني قبل خمس سنوات، «سبب التأخير هو كلفة العمل. حصلنا على مساعدة من «أفاق»، لكن طبعاً المبلغ لا يكفي للانتهاء من المشروع، ونحن نتّكل على أنفسنا. من خلال بيع الكتاب، سنسدّد تكاليف معيّنة. ننتهي من عمل لنموّل من خلاله عملاً آخر. هذه استراتيجيتنا في النادي».

سبق لقعبور أن قدّم ألبوماً بعنوان «أحمد قعبور يغني عمر الزعني» (إنتاج النادي) يتجاور فيه التراثي والحداثي والشرقي والغربي، بمزيج من الطرافة والمرارة والرقّة، تعكس الأسطوانة واقعاً تكرارياً تخاله قدراً في وطنٍ هيولاني، عاصمةٍ تضيق بأهلها. إذ اختار عشر أغنيات وأعاد صياغتها موسيقياً: «نعمل على نتاج وإبداعات عمر الزعني منذ سنوات، وتابعت كلّ الأنشطة مع «نادي لكلّ النّاس». ما زالت أغنيات الزعني راهنة ولم تفقد قيمتها مع الوقت، وتستحقّ أن يُعاد تسجيلها بموافقة عائلته وهذا ما حصل. أعدت تسجيل عشر أغنيات بصوتي، ومن بين الأغنيات اثنتان كتبهما الزعني من دون أن يلحنهما هما «ما بهوى حد» و«إن قلت أيوا وإن قلت لا» فقمت بتلحينهما».

نسأل رياشي عن طبيعة عمله على مشروع عمر الزعني، فيجيب: «عملي يتمحور حول الترميم والإتقان. بعد ترقيم الأعمال التي كانت مشوّهة صوتياً بشكل كبير، أجرينا الترميم. نحن اليوم في صدد العمل على ثلاث أسطوانات (cd) تضمّ نحو 38 أغنية للزعني ستوزّع على الإنترنت أيضاً. بالنسبة إلى أسطوانات الفينيل، فإنها ستأتي في مرحلة لاحقة. المهمّ أنّنا نرمّم هذه الأغنيات الـ38 ليستطيع الناس الاستماع إليها والاستمتاع بها».

فصل من رواية

ميغيل بونفوا: الميراث (*)

إنها حكاية كذبة النهاية، حكاية البداية التي لا تنتهي قد تبدو في الظاهر مجرد استعراض تاريخي للوجود الفرنسي في تلك البقاع النائية من جنوب اميركا وتتبعاً كرونولوجياً لمسار عائلات هاجرت من اوروبا إلى العالم الجديد، بحثاً عن حياة جديدة من خلال ابتكار انشطة جديدة عبر احلام جديدة، غير ان الحياة تتجدد من خلال الجذور وليس من خلال التاويل الجغرافي للأحلام. اين هو الوطن؟ تتابع هذه الرواية مسيرة اكثر من عائلة لمدة اكثر من قرنين من الزمن. عائلات تركت بلدانها الاصلية حيث ولدت ونشأت وهاجرت تبحث عن الحياة. ما اضيق الارض ما اوسع الحلم. بعد اكثر من قرنين يهرب الحفيد الثالث من منفى جده الاول قاصداً ارض اجداده الاولى. ليجد نفسه يحمل اسم هذا الجد الاول. فمن اين تتكون البدايات؟ وهل بالفعل هناك نهايات؟

ترجمة وتقديم **عبد الوهاب الملوح**

أوتو ديكس – «خنادق حرب» (زيت على قماش، 1916)

طالت مدة السفر في البحر الذي أشعر لازار بالجزع المميّز بالانبهار. بينما لازم روبير قمرته يقرأ ولم يخرج منها، اما شارل فكان يتسكّع على ظهر السفينة يدخن، يستمع لما يثرثر به المجندون الذين كانوا يؤدون اناشيد عسكرية عند الصباح ومارشات بطولية، وحين يحل المساء، عند الغروب يتداولون فيما بينهم قصصاً مرعبة تحكي إن السماء تمطر جثث عصافير في الجبهة، والليشمانية تنبت حلازين في البطن وإن الجنود الالمانيين يكتبون الحروف الأولى من أسمائهم على جلود المساجين بالسكاكين، وإن هناك أمراضاً قد اندثرت من عهد البارون بونتيس قد ظهرت مرة أخرى.

ما زال لازار يعتقد أنّ فرنسا مجرد وهم وما هي سوى خرافة الفتها مجموعة من القصص، غير أنه ما إن لمح بعد أربعين يوماً من الإبحار سواحلها، حتى أدرك أن الفكرة الوحيدة التي لم تخطر له على بال هي أن فرنسا موجودة بالفعل.

وهو يستعد لمغادرة الباخرة، ارتدى لازار بنطلوناً مخملياً، موكاسان بكعب قصير وسترة مزركشة بحلقات حلزونية الشكل كان قد أخذها من أبيه، وضع قدميه على الميناء بثيابه التشيلية هذه وبسذاجة شخص ما زال يرى نفسه مراهقاً، وليس بزهو من كان يُعد نفسه ليصبح جندياً.

أما شارل، فكان يلبس زيّ بحار مخططاً بالأزرق والقنسوة من القطن بطرّة حمراء. حفّ شاربه وجعله رقيقاً، متناظراً بشكل لافت مزيناً الشفة العليا مثلما تعوّد أجداده سكان بلاد الغال الأمجاد، والذين اعتادوا أن يربطوا هذه السبلة من الشارب بشيء من ريقهم.

أما روبير، فكان يلبس قميصاً واقية صدر وبنطلوناً من الساتان تاركاً ساعة فضية تتدلى من خصره وقد شدّها إلى حزام البنطلون بسلسة صغيرة، وحين عثروا عليها يوم مماته، كانت الساعة ما زالت تشير للتوقيت في التشيلي.

أول ما لفت انتباه الإخوة الثلاث وهم ينزلون على الرصيف، راحة المكان التي بدت لهم شبيهة بتلك الرائحة في ميناء فالباريزو.

لم يكن الوقت يسمح لهم بالتحدث في هذا الأمر، فسرعان ما صفّوهم ضمن طابور تحت قيادة ضابط ووزعوا عليهم زيّ الجندية، بنطلوناً أحمر، معطفاً مشدوداً بصفين من الأزرار، لفائف حول السيقان وزوجي جزمات عسكرية جلدية.

صعدوا بعد ذلك في شاحنات عسكرية خُصصت لنقل آلاف النازحين إلى جبهات الحرب، قدموا ليمزقوا أنفسهم في قارة كان آباؤهم قد تركوها بلا عودة. وهم يجلسون على مقاعد قبالة بعضهم البعض لا أحد منهم كان يُجيد الحديث بالفرنسية باستثناء لازار الذي تعلّمها بفضل مطالعاته للكتب من خلال كلمات مختارة وعلامات رمزية.

أما هنا، فكانوا يعطون أوامر بلغة متخشبة، يشتمون عدواً لا مرئياً، وعند المساء حال وصولهم اصطفوا في طابور أمام أربع طناجر معدنية كبيرة وقف خلفها طباخان يعيدان تسخين مَرَق امتلأ بالعظام، ولم يكن يسمع سوى حديث بلهجات البروتون المحلية.

وقتها فكّر لازار في لحظة ما أن يعود إلى الباخرة ويرجع إلى بيته هناك في التشيلي، غير إنه تذكر وعده وقرر إنه لئن كان هناك واجب وطني خلف الحدود، فإنما هو الدفاع عن وطن الأجداد.

كانت مهمة لازار لونصونيبه في الأيام الأولى القيام بدعم الخنادق وتثبيت الدعائم وسواتر الرمل، والانشغال بتهيئة الأرض من أجل تركيز الأفرقة مربعة الشكل، لدرجة إنه لم يجد الوقت ليشعر بالحنين إلى التشيلي.

لقد قضى هو وإخوته أكثر من سنة في تثبيت الأسلاك الشائكة، تقاسم نصيبهم من الغذاء ونقل حقائب المتفجرات، وسط مسالك صغيرة، ملغمة بين سريات المدفعيات عند خطوط النار.

في البداية ولكي يحافظوا على كرامتهم كجنود، كانوا حين يعثرون على منبع ماء يتقشفون في استعماله أثناء الاستحمام، مستعملين القليل من الصابون لغسل أيديهم برغوة رمادية. لذلك تركوا ذقونهم تنمو دونما عناية ليس إهمالاً ولكن لأنها موضة ذلك العصر حتى ينالهم شرف تسميتهم بالجنود المشاة، وبمرور الأيام والأشهر أصبح ثمن الكرامة مُهيناً. إذ كانوا ينخرطون عراة وسط المرج القريب ضمن مجموعات تتكون كل واحدة منها من عشرة أفراد في تمرين فلي القمل المُذِل، وقد غطّسوا ملابسهم داخل الماء المُغلي، ينظفون بنادقهم بمزيج من السخام والدباغ؛ ثم يرتدون أزياءهم الرثة، الملوثة، المرقعة والتي ظلت رائحتها تطارد لازار حتى في أحلك سنوات صعود النازية.

انتشرت إشاعة بين الجنود مفادها أن من يأتي بمعلومة من جبهة العدو يحصل على ثلاثين فرنكاً، وسرعان ما حاول المشاة الجوعى أن ينالوا فرصتهم حتى في أتعس الظروف، فمضوا بعيداً عن معسكرهم؛ يزحفون بين الجثث المغطاة بالبرقات؛ يجُزّون خطاهم وسط الوحل مثل حيوانات، مركزين على أي شق يعترضهم، يصغون السمع، من خلال شعورهم المتجعدة، علّهم يظفرون بتاريخ ما، ساعة ما، إشارة لبدء هجوم.

وقد استطاعوا التسلّل إلى الخطوط الألمانية يرتجفون من الخوف والبرد وهم يؤدّون دور العسس الخفي وهو ما جعلهم يقضون ليالي كاملة أحياناً مقرفصين في حفر أحدثتها قذائف.

والوحيد الذي استطاع الظفر بالثلاثين فرنكاً، كان صبياً قادماً من مانوسك ويُدعى أوغستين لاتور حكى أنه وقع ذات مرة على جثة ألماني مكسور الرقبة على إثر سقطة في هاوية أحد الأودية. ولما فتش جيوبه، لم يعثر على شيء مهم عدا رسائل بالألمانية وبعض المباركات، أوراق وقطع نقدية بثقوب مربعة الشكل في وسطها، غير أنه عثر على طبة جلدية على مستوى الحزام ورأى الثلاثين فرنكاً مطوية بإحكام وكان الألماني قد سرقها بدوره من جثة جندي فرنسي فلوّح بها مزهواً بنفسه وهو يهتف: – لقد سددت دَيْن فرنسا.

في تلك الفترة تقريباً، تمّ اكتشاف بئر عند منتصف الطريق بين خندقي العدوين ولآخر أيام حياته، لم يعرف لازار لونصونيبه كيف استطاع العدوّان أن يتفقا على وقف إطلاق النيران للتزود بالماء من البئر. تتوقف الطلقات النارية بين الطرفين؛ وعند منتصف النهار بالضبط، يغادر جندي فرنسي الخندق ويقصد البئر حاملاً سطلين كبيرين يتزود بالماء ويعود القهقرى على أن لا يتجاوز النصف ساعة، ويقوم الجندي الألماني بنفس الشيء. ما إن يُتمّ الفريقان، تزودهما بالماء بشرعان في تبادل إطلاق النار من جديد. تتكرر هذه الرقصة السوداء كل يوم بدقة عسكري محكمة دونما أيّ تجاوز من أي جهة، في احترام دقيق لرموز فروسية الحرب، إلى درجة أن العائدين من البئر يردّون في ما بينهم بعد صراع دام سنتين، إنهم لأول مرة يسمعون زقزقة بعيدة للعصافير أو صوت رحى المطحنة.

تطوّع لازار ذات يوم لجلب الماء، اندفع خارج الخندق وفي مقدمة ذراعيه أربعة دلاء ونحو عشرين قطرة في حزامه وحوض غسيل في يديه، بعد عشر دقائق من السير بلغ البئر وهو يتساءل كيف سيعود بكل هذه الأواني ممتلئة بالماء. كانت البئر تُشيع حزن مطيرة مقفرة وهي محاطة بمئابة متقادمة وجدار صغير متاكل وقد ترامت في الأطراف هنا وهناك أوان متقوبة بالرصاص بينما لاحت غير بعيد سترة عسكرية قد تركها أحدهم أثناء عودته من البئر.

شدّ مقبض الدلو إلى حبل وأنزله في البئر إلى أن سمع بقبقة الماء، وما إن شرع في جذبه برزت أمام ناظريه فجاة كتلة تشبه الصخرة.

رفع لازار رأسه وإذا به وجهاً لوجه مع جندي ألماني يوجّه مسدسه صوبه وقد تغطى وجهه بوحل التخفي. ألقى لازار الحبل من يده تاركاً الدلو يقع في البئر وتراجع إلى الخلف ينشد الفرار غير أنه صاح قائلاً وهو يتعثر في صخرة:

– تبا؟

وانتظر الرصاصة التي لم تأت، فتح عينيه ببطء شديد والتفت نحو الجندي الذي تقدم بخطوة نحوه ما دفع لازار للتراجع إلى الخلف. كان الألماني في مثل سنّ لازار غير أنّ زيه وحذاءه العسكري وقبعته، كل هذا يوحي أنه أكبر منه عمراً. خفض الجندي الألماني مسدسه وساله:

– هل أنت تشيلي؟

وصل هذا السؤال إلى مسامع لازار في شكل همس إسباني سليم النطق. هَمْسٌ إسباني ظهرت له من خلاله طيور الكوندور الجامحة وغربان البحر وأزهار الآس التشيلية وتلك الانهار التي تتنفس أشجار اليوكاليبتوس.

– نعم؛ ردّ لازار

فبدا على الجندي الألماني وقتها شيء من الارتياح وسال لازار مجدداً:

– من أي مدينة أنت؟

– سانتياغو

ابتسم الألماني وهو يقول:

– وأنا أيضاً اسمي هلموت دريخمان.

يا للمفاجاة لقد عرف لازار جاره الذي يقطن في شارع سانتا دومنغو والذي كان قد ساله قبل سبع عشرة سنة خلت عن أصول اسمه. وها هي الحرب قد جمعتهما مجدداً، لكن كل واحد منهما في الجهة المعادية للآخر.

لقد انخرط الاثنان في مغامرة عبور المحيط ليدافع كل واحد منهما عن بلد آخر وعلم آخر، وها هما الآن يلتقيان للتزود بالماء عند هذا المنبع الذي شهد ولادتهما.

– اسمعني، إنهم هنا يعدون لهجوم مفاجئ عشية الجمعة. تصرف بشكل أن تكون مريضاً وامض الليل في المصحة، قد ينقذ هذا حياتك.

لفظ هلموت دريخمان هذه الكلمات بدون أن يعمل لها أي حساب أو يخطط لها. تلفظ بها كما لو كان يسقي شخصاً ظمآناً الماء، ليس لأننا نملك الماء، لكن لأننا نعرف معنى العطش.

نزع الألماني قبعته عن رأسه وقتها فقط. تبين للازار وجه مخاطبه بوضوح، اكتسى بجمال مرمري كامد وصلب، وقد اصطبغ بلون متحفظ حيث الزنجار يذكّر بالجمال الخفي للتماثيل القديمة.

تذكر لازار كل أولئك الجنود الذين ينامون في حفر في انتظار المبادرة بحوار ما أو الكشف عن مخبأ لكتيبة العدو أو اكتشاف الموقع السري لبطارية معادية. لقد استوعب جيداً السر الذي باح به هلموت والذي بدا له فجأة مقنعاً وعبثياً. وقد بدا له هذا الألماني مكابراً وسخيفاً في الأبعاد الحقيقية للتاريخ.

(*) صدرت حديثاً عن «دار كلمات» في الكويت

قصيدة

الوردة رأس النّعاس

جو القارح *

الخيول فوق سريري،
وراءها سماءٌ،
وقطعة من فم القمر،
ترشّ عليّ كنزةَ ضوء،
وعلى مخدّتي،
فتاةٌ مغمّسة بماء الأفق.
غداً أستيقظ،
أقتلع جفوني وأعلّقها على أصابعي،
أراها تغادر،
وتفلتُ صحن غيمٍ على فمي،
يتكسّر،
وينادي دم شفتيّ النّائم،
«تحرّك،
ودع سنّارة الشّمس تصطادك،
الوقتُ رحل ونسيك،
وكلّ الأيام مقلوبة على ظهرها،
تحرق،
لا فائدة»
غداً،
قبل أن أستيقظ،
سأغزل فمي حول إبرة،
أثقبه في الوسط،
وأزرع يداً،
تمسك كلماتي الطّائرة،
وهمسات نومي،
فالسّرير أعمق،
مذ تعلّمتُ النّوم على أحلامي،
والمخدّة أبرد،
مذ حلمتُ بالشّمس،
وبصيف أرجوانيّ من بَيْض الجبال.
حلمتُ بالرّبيع قبل ولادتي،
ونشأتُ على حبّ الشّاسع،
لكنني توقفتُ عن التمرّد،
وَقبّلتُ الوردة رأسَ النّعاس،
ربّتني،
وولدتني أرقاً لي،
غيمةً في البعيد الأفق،
حيث النّوم غرفة،
والنّعاس مكعب ثلج في كأس صفراء،
حيث الحياة رائحة،
لا تعرف المشي،
فقط الصمت،
والموتُ إبريق،
بلا قعر.

■■■

أرأيتَ نعاساً ينام؟
أكلَ اللّيل للنّوم؟
بعضه للنّعاس؟
في كفّ رأسي ورقةٌ أخفوها عنّي
عليها اسمي واسم نعاسي،
كلّما زلّ لساني،
وناديتُ النّوم،
أفقد ذراعاً من ظهري،
يتقشّر إصبعٌ من عينيّ،
ويتطاير فوق سرير أمنياتٍ
حارقةٍ كجناحيّ ملاكٍ مسرع.
كلّما زلّ لساني،
وناديتُ النّوم،
شعرتُ بأظافر حول عنقي،
تَغْرِسُ فيه وقتاً،
ومزيداً من الصّوت،
لأنادي أكثر،
وأملأ الصّدى بالنّوم،
والجدران بالغثيان.
أين النّعاس يحملني برميني في مراكب اللّيل أصطاد مع النّجوم
الغرف وعيون العشّاق؟
أين النّعاس،
قطرةً على رأسي فمي تُثْقِلُه؟
رصاصةً مجعّدة الشّعر،
تنفجر في رأسي حلماً أضيع؟

* لبنان

دومينيكا فيدو- ويس «نوم» (أكريليك على قماش، 2019).

شذرات

وسادة لِرأس بلا أحلام

أسماء فيصل عوّاد *

شبكات الحب المؤجلة، دائماً بلا رصيد

■■■

غُرة العام امرأة بدينة بخطط حمية فاشلة، ذيل العام رجل بذيء يميل إلى الشتائم المعتادة.

■■■

– هل لعنت حظك اليوم؟
– لا، كان يبحث عن أمل!

■■■

تشبه عمّان باريس.. بالجياع فقط.

■■■

ابتعت وسادة جديدة لرأس بلا أحلام

■■■

يستطيع العدو أن يقتل حتى البحر الميت!

■■■

لم يمنح النيل اسمه لمكان، لكن نهر الأردن فعل.

■■■

أنفق على عقلي وعطري من الجيب ذاته.

■■■

ينهق حمار في الحي، وأزواج من الحمام تتغوط على نافذتي، والجار ينهر زوجته: «تطلعيش مفرعة عالبردنة يا حيوانة».

■■■

تعال أيها العمر نتبادل العتب:
– لماذا ركضتَ مسرعاً؟
– لماذا لحقتِ بي؟

■■■

تهريب: هرّبت لك الكحول في علبة غسول نسائي؛ فوصلك.. ليتني هرّبت قلبي في سلة بيض!

■■■

الأمل: ابتسامات ميؤوس منها.

■■■

لا أتنازل عن علامات الترقيم حين أكتب خيباتي.

■■■

أنزلق بحذر وأناقة نحو الهاوية.

■■■

أبحث عن مكان جيد التهوية لخنق دموعي.

■■■

الأبواب الموصدة، مثيرة للمفاتيح.

■■■

تنبع المياه العذبة من قبلتك.

■■■

في الليل، تمشي عتبتك لتلاقي حذائي.

* عمّان/فلسطين

فيرجيني ماتس – «لا تطرنج» (أكريليك على قماش، 2020).

يوميات

فوزي يمّين... شاعر يكتب عن كرة القدم

محمد ناصر الدين

«عيناي مثبّتتان على لونَي الكرة: الأبيض والأسود. عندما تدوّي الصافرة، أدخل في كون آخر، له وقته وطقوسه. أصبحُ جزءاً من الكرة، من الملعب، من المحيط نفسه. أشعر بانقباض في معدتي. اللحظة التي تسبق صافرة البداية لها رهبتها. بعدها، أصبحُ شديد الهدوء، وما يزيدني ثقة بنفسي هو عندما أجيل النظر من حولي، وأرى وجوه رفاقي، أعكس الثقة عليهم. منذ ركلة البداية، ندخل في الكون الآخر، مفعمين بالطاقة، ونبدو علينا القوّة. يحبّ جنون الجمهور. نركض دون توقّف، ونمرّر الكرة خفيفة على أقدامنا، نوّاقين إلى كل فرحة. علينا أن نسجّل هدفاً». إنها يوميات الشاعر والمترجم اللبناني فوزي يمّين، لاعب كرة القدم السابق في نادَيي «السلام زغرتا» و«الحكمة بيروت» التي نجدها في «استراحة بين شوطين» (منشورات المتوسط ـ 2022) ضمن سلسلة «يوميات عربية».

يمّين، الذي لعب سابقاً ضمن صفوف المنتخب اللبناني في تصفيات كأس العالم 1993، يرصد هنا يوميات كروية محلية ومتابعات عالمية في الفترة بين عامَي 1975 و1990، واختلطت فيها محبوبة الجماهير بالأدب والسياسة بكل تنوع آلته الطائفية من سنّته وشيعته وموارنته ورومه وأرمنه ودروزه وفلسطينييه وجوقة أحزابه اللبنانية، من خلال كرة القدم، ويجزّد أبرز الأحداث التي عاناها لبنان فوق جلجلة الانقسام، فنقرأ: «ثمّ تنغلق المدرّجات على نفسها، فيقف الجمهور المسيحي، ويتسلّح بفرَقه، ويتّخذ من سيطرة ناديه الراسينغ التاريخية سبباً لوقوفه هذا، ويخرج جمهور من الأرمن خلف «الهومنتمن» و«الهومنمن»، ليُترجم توجّهات حزبَي «الطاشناق» و«الهانشاق» المتناقضَين فكرياً وسياسياً. في الجهة الأخرى، «النجمة» و«الأنصار»، و«التضامن بيروت»، أندية تمثّل التوجهات الأخرى التي تلوح على خطّ مناوئ للأندية المسيحية. الغرائز الكامنة تخرج دفعة واحدة بعد تتويج «النجمة» بطلاً عام 1972 وهيمنته على البطولة وتفوّقه في كلّ شيء، وكان قبله «الراسينغ» و«الهومنتمن» و«الهومنمن»».

في منتصف حارتنا، وراح ينظر إلينا بغضب، ويقول بحزم: سندعكم وشأنكم، لكنّ، بعد أن نلعب ضدّكم مباراة أخيرة نهار الأحد القادم، والحكم منّا، والشرط عن... خروف... ههههه. في البداية، ذكر الخروف ممازحاً، لكنّ، سرعان ما انقلبت كلامه إلى الجدّ خصوصاً عندما نظر إلى عبّود غامزاً به دون أن ننتبه إلى مزرعة عمّه، أنتم تدبّرونه، وتربطونه عند طرف الحارة بكعب شجرة الخرّوب تلك، يشير بإصبعه إلى الشجرة، والذي يفوز يحصل عليه، سنفوز نحن طبعاً، وندبحه، ونجلس حول موقد الشّواء، ونقفع سكّرة على لحمه الطريّ، لها أوّل، وليس لها آخر، هل تعرفون ما معنى السّكّر، أيها الأولاد الصغار الذين نخاف حين نلعب معهم أن نتعثّر بهم».

يأخذنا يمّين بسلاسة في مسيرة تكوينه كلاعب كرة، إذ يبدو منذ بداياته لاعباً متقفّاً وزياراته للملعب يعزّز فيها إلى مكتبة لا تزال حتى اليوم تغريه بما تستورده من المجلات الكروية الفرنسية التي تشبك الرياضة بموضوعات أخرى مثل المتعة والإغواء والكآبة والجنون، إذ «يصنعون لها ميثولوجيا. لديهم تلك القدرة على توسيع رقعة الأفكار. يشبّهون اللاعبين بأبطال المصارعة، بالفنّانين، بمغنّي الروك، بالآلهة». لا تلبث يوميات «المايسترو» أن تدخلنا في سمفونية المجتمع اللبناني بكل تنوع الآته الطائفية من سنّته وشيعته وموارنته ورومه وأرمنه ودروزه وفلسطينييه وجوقة أحزابه اللبنانية، من خلال كرة القدم، ويجزّد أبرز الأحداث التي عاناها لبنان فوق جلجلة الانقسام، فنقرأ: «ثمّ تنغلق المدرّجات على نفسها، فيقف الجمهور المسيحي، ويتسلّح بفرَقه، ويتّخذ من سيطرة ناديه الراسينغ التاريخية سبباً لوقوفه هذا، ويخرج جمهور من الأرمن خلف «الهومنتمن» و«الهومنمن»، ليُترجم توجّهات حزبَي «الطاشناق» و«الهانشاق» المتناقضَين فكرياً وسياسياً. في الجهة الأخرى، «النجمة» و«الأنصار»، و«التضامن بيروت»، أندية تمثّل التوجهات الأخرى التي تلوح على خطّ مناوئ للأندية المسيحية. الغرائز الكامنة تخرج دفعة واحدة بعد تتويج «النجمة» بطلاً عام 1972 وهيمنته على البطولة وتفوّقه في كلّ شيء، وكان قبله «الراسينغ» و«الهومنتمن» و«الهومنمن»».

تشترك يوميات فوزي يمّين في خطها اللاقط مع مدرسة غاليانو في الكتابة عن الكرة في تمرّد سردياتها على كرة القدم الاحترافية التي تخضع لقوانين السوق، وتنطلق من يوميات الحارة الصغيرة في زغرتا التي صنعت اللاعب الذي سيُلقّب في ما بعد بـ«المايسترو» إذ تبدأ حياته الكروية برهان على خروف في مباراة ضد فتيان الحي المجاور: «ذات يوم، ولا أحد علم ما الذي أصابهم، وقف لاعب منهم، الأكثر غلاظة فنرى مقاطع مخصّصة عن الجوارب البيض التي يعالجها من منظور علم النفس: «كما أقرأ في كتاب «تأويل الأحلام» لفرويد أنّ الجورب في عالم اللاشعور يدلّ على ما نخفيه من نقاط الضعف والعيوب، فلا أحد بوسعه أن يرى جواربنا إلا إذا كانت جديدة، والرجُل الضعيف الشخصية يخفي جوربه داخل الحذاء في الحُلم، أما الرجُل القويّ الشخصية فيظهر جواربه للناس، ويكون خالياً من العيوب»، أو عن الحذاء الصيني الذي كان لا يفارق قدمي كابتن «النجمة» حسن عبود الذي لا يخلو وصف يمّين له من طرافة: «البوط الصيني... هذا الحذاء الرخيص مصنوع من القماش الأسود، وله نعل ومسامير مطاطية على شكل حبّات الكاجو، يحيط به خيط قماشيّ رفيع، يتوهّج فوق اللّون الحالم، وشريطه أبيض طويل نستطيع إدخاله في الثقوب الحديدية ويبقى الكثير منه، لنلفّه تحته أو حول الكاحل... له رائحة فنرى مقاطع مخصّصة عن الجوارب البيض التي يعالجها من منظور علم النفس: «كما أقرأ في كتاب «تأويل الأحلام» لفرويد أنّ الجورب في عالم اللاشعور يدلّ على ما نخفيه من نقاط الضعف والعيوب، فلا أحد بوسعه أن يرى جواربنا إلا إذا كانت جديدة، والرجُل الضعيف الشخصية يخفي جوربه داخل الحذاء في الحُلم، أما الرجُل القويّ الشخصية فيظهر جواربه للناس، ويكون خالياً من العيوب»، أو عن الحذاء الصيني الذي كان لا يفارق قدمي كابتن «النجمة» حسن عبود الذي لا يخلو وصف يمّين له من طرافة: «البوط الصيني... هذا الحذاء الرخيص مصنوع من القماش الأسود، وله نعل ومسامير مطاطية على شكل حبّات الكاجو، يحيط به خيط قماشيّ رفيع، يتوهّج فوق اللّون الحالم، وشريطه أبيض طويل نستطيع إدخاله في الثقوب الحديدية ويبقى الكثير منه، لنلفّه تحته أو حول الكاحل... له رائحة توافقه من المصنع، ويُصدر صوتاً عندما تتسلّل إليه أمطار الشتاء». كما يعرّج يمّين على المونديال وأجوائه ونسخه المتعددة في أعوام 1978، 1982، 1986 و1990، حيث يظهر بلا تردد حبّه للفريق الألماني: «الألمان أسياد اللعبة، أسماء لاعبيهم تلعب فكيف بالأحرى هُم؟ أسماء توحي بالثقة والقوّة. خُذ مثلاً اسم ماتاوس. يردّده بتقطيع لفظي مقصود ما/تا/وس، اسمه براوغ فكيف بالأحرى هو؟ واسم هاشلر، بشدّ على الساكن من أحرفه، واسم بالاااك، يمطّ الألف، أسماء توحي بدبّابات تقصف بلا رحمة، وتضع قذيفتها حيثما تريد. يوم»، كما يعرّفنا إلى أبرز اللاعبين الذين ألهموه كلاعب ومتفرج كمارادونا «الذي استطاع بمهارة عالية أن يخرق وحده النظام رغم صرامته وقسوته، أن يدمره بمراوغة، بركلة. كأنّه بذلك يفرّح قلوب جميع الذين يخسرون كل يوم في الحياة، ويأتون في الآحاد إلى الملاعب العري، وفي كتاباتها اكتشاف أعمق عن هذا العري الذي يصفه بقوله: «مثل الذين ماتوا سريعاً ولم يعودوا». فهذا العري ربما هو العزلة التي يريد أن يصل إليها أثناء سيره وكتابته. هكذا يكتشف نفسه في رحلة الكتابة وأنّ «الحقيقة تمتزج فيها الكرة مع الأدب والموسيقى، كرواية بيتر هاندكه «خوف حارس المرمى عند نقطة الجزاء»، أو المقابلة الشهيرة لبالتيني مع مارغريت دوراس، أو استذكاره لجورج بيست هذا «مانشتر يونايتد» في الستينيات، والذي كان العضو الخامس في فرقة «البيتلز» الشهيرة. لا ينفصل يمّين الشاعر عن اللاعب حتى المقطع الأخير في الكتاب: «صحيح أنّي لعبت كرة القدم برغبة لم أعرف أقوى منها في حياتي، لكنها انتهت ما تنتهي جميع الرغبات (هل تنتهي الرغبة حقاً؟). وإذا كان من تقمّص في الحياة، فأنا بالطبع أؤمن بأنّي عشت حياتين: حياة كلاعب، وحياة أخرى كغير لاعب. حياة داخل الملعب، وحياة خارجه. ومع الوقت تجتاحني رغبة أخرى أكثر فأكثر، الكتابة، ولطالما كانت دائماً في داخلي منذ أيام المدرسة. وها أنا اليوم أجد نفسي أكتب عن لعبة، كنت أرتجلُها بقدميّ، كلما وطئت بهما سجادة الملعب»، ليُنهي يومياته بتأمّل تقترب فيه الجملة الكروية من الفلسفة: «في الخمسينيات من العمر، هل تصبح الحياة استراحة بين شوطين؟».

يرسم يوميات الكرة في «الشرقية» و«الغربية» أثناء الحرب اللبنانية

شعر

محمود وهبة... بعيداً عن الجدية

تغريد عبد العال

تذهب مجموعة «ليس حباً بل دعابة» (دار النهضة العربية) لمحمود وهبة، نحو التفاصيل الصغيرة التي تكاد تكون مرئية، فتجعلنا نشاهدها أكثر، كأن الشعر دعوة إلى تلك المساحة الهامشية من الأشياء حيث يختلف كل شيء وتبدو الجدية دعابةً. حتى الحب والمسائل الوجودية الأخرى نراها تذوب في مساحة هادئة وبعيدة عن الانظار. هكذا أيضاً ينادي على الأشياء في بداية مجموعته ربما كي يدعمها لتتأمل معه ما يريد أن يقول، فيدعو أشياء كثيرة إلى مائدته. يقول: «يا أيها الضباب القابع في ربّة مدخن/ أيها القلب البحر في سفينة/ أيتها النوارس المعلّقة المشوقة ظلماً وعدواناً».

يسأل في قصيدة أخرى عن نفسه، ليتخيّل أنه عار من كل شيء. كان القصيدة هي ذلك الطريق إلى هذا العري، وفي كتاباتها اكتشاف أعمق عن هذا العري الذي يصفه بقوله: «مثل الذين ماتوا سريعاً ولم يعودوا». فهذا العري ربما هو العزلة التي يريد أن يصل إليها أثناء سيره وكتابته. هكذا يكتشف نفسه في رحلة الكتابة وأنّ «الحقيقة تمتزج فيها الكرة مع الأدب والموسيقى، كرواية بيتر هاندكه «خوف حارس المرمى عند نقطة الجزاء»، أو المقابلة الشهيرة لبالتيني مع مارغريت دوراس، أو استذكاره لجورج بيست هذا «مانشتر يونايتد» في الستينيات، والذي كان العضو الخامس في فرقة «البيتلز» الشهيرة. لا ينفصل يمّين الشاعر عن اللاعب حتى المقطع الأخير في الكتاب: «صحيح أنّي لعبت كرة القدم برغبة لم أعرف أقوى منها في حياتي، لكنها انتهت ما تنتهي جميع الرغبات (هل تنتهي الرغبة حقاً؟). وإذا كان من تقمّص في الحياة، فأنا بالطبع أؤمن بأنّي عشت حياتين: حياة كلاعب، وحياة أخرى كغير لاعب. حياة داخل الملعب، وحياة خارجه. ومع الوقت تجتاحني رغبة أخرى أكثر فأكثر، الكتابة، ولطالما كانت دائماً في داخلي منذ أيام المدرسة. وها أنا اليوم أجد نفسي أكتب عن لعبة، كنت أرتجلُها بقدميّ، كلما وطئت بهما سجادة الملعب»، ليُنهي يومياته بتأمّل تقترب فيه الجملة الكروية من الفلسفة: «في الخمسينيات من العمر، هل تصبح الحياة استراحة بين شوطين؟».

تحضر بيروت بكل يومياتها، كامراة ومدينة

يعطيها هدوءاً ولغة بعيدة عن المجاز، فيسأل: «ماذا تشعر الفتاة حين ينبت لها ثديان». يقول في النهاية: «كثيراً ما أندم على رجولتي/ على الدم الذي لم ينزل مني ولو لمرة واحدة/ في دورة شهرية». يبدو طرح الأسئلة على الأشياء اليومية جزءاً من مهمة الكتابة. لذلك، يذهب إلى تلك التفاصيل ربما ليكوّن صورة أخرى عنها، فيقول: «يوماً ما/ ساعود طفلاً يرضع ثدي أمه/ أسرق حبة الشكلس من دكان قريب». يعود ويطرح أسئلة أخرى على عالم لا يحركه سوى تلك الأسئلة، فيقول: «هل من عمر لهذا الموت المستلقي على الجدران؟/ هل من نزيف لكل شاردة وواردة».

تبدو أيضاً لعبة الصور واضحة في أكثر من مكان في المجموعة، كأنه يحاول أن يرى صوراً أخرى للأشياء أو يحاور العالم في وجوهه الأخرى، من دون أن يتجاهل حقيقته، فيقول: «العكاز طريق الأعمى/ قنديل الأعمى/ العكاز حياة». هكذا تصبح الكلمات هي القنديل في عالم مظلم ومفتوح على لغات كثيرة، فنحتاج إلى ذلك الضوء لنرى الأشياء ونتحسّسها.

في نهاية الأمر، تبدو الأحزان بهية، أو هكذا تأخذنا معها إلى أماكن أخرى، فنتامل انفسنا ونكتشفها من جديد، فيقول: «أحزاننا التي نلوّنها بالكحول/ وبالقليل من الموسيقى/ فتبدو بهية في المساء». تصبح الأشياء التي يكتشفها على طول الطريق أيضاً أكثر نقاوة، فيقول: «كان علينا أن نعد خطواتنا قبل أن نحبّ».

تحضر بيروت بكل يومياتها، كامرأة ومدينة، فلا تغيب عن أجواء المجموعة التي يناقش الشاعر تفاصيلها مع حياته ومع ما يشاهد فيها من أجواء ليسأل: «إلى أين». لكنه يتنبه في ما بعد إلى أن السؤال موجع، فيقول: «تصادق الأسئلة رغم أنها موجعة». لكن حتى وهو يفكر بالأشياء البسيطة، تظهر تلك الأسئلة الموجعة مرة أخرى، كأنّ لا مهرب من الأسئلة، فيقول: «لنفكر الآن بأشياء بسيطة/ بالكذب والنميمة وأكل الأظافر». يعود ليسال الشاعر عن كتابته للقصائد اليومية: «هل تكتب قصيدة كل يوم؟»

في نهاية المجموعة، لا بد من أن يتوقف عند ذاك الخطأ في كل شيء، فيتدارك أنّ هناك خللاً ما في هذا العالم، كأنّ ذلك الخلل ربما يوقفه في زاوية ما، ويجعله يتساءل عن كل شيء، فيقول: «أخطأت في العنوان/ هذه المدينة طازجة/ ثمة خلل في الدماغ/ خطأ في تركيب المواد العضوية/ فعلاً إنها طازجة/ وموضّبة على الرف». لا بد من أنّ تامل هذا الخلل سيقوده إلى طريق الكتابة لمعرفة الأشياء معرفة أخرى، معرفة بالتجربة. فالمدينة طازجة رغم ذلك الخلل، ويحتفظ كما يقول باللطافة كمؤونة لسنة قادمة كما يقول في قصيدة: «كيلو لطافة مؤونتنا لسنة قادمة». فهل تصبح الأشياء أكثر رقة حين ندرك الخطأ فيها وحين نؤمن بجمالها رغم ذلك الخلل؟

تقودنا الأشياء أحياناً نحو الكتابة لتجعلنا نتساءل عنها أكثر، وهنا يمضي الشاعر نحو تلك الأسئلة حذراً ويجعل اللغة دليله إلى تلك الافخاخ على الطريق. فالطريق ليست سالكة، إلا أن الأشياء أيضاً تبدو أكثر مرحاً وبعيدة عن جدية الحياة، فربما تكون طريقه إليها دعابة ولعبة رغم أنها في الوقت نفسه تجربة.

تاريخ

صقر أبو فخر يقرأ «تحوّلات النخبة الفلسطينية»

منى سكرية

وضع الكاتب صقر أبو فخر حجراً أساساً في قراءته للنخب الفلسطينية والتحولات التي طرأت عليها، أو النخب التي دَخلت وأدخلت في بنى هذه التحولات، على اعتبار أن مدار البحث هنا يتوسّع ويضيق ويحمل ويحتمل بمقدار ما تتسع له فلسطين تاريخاً وجغرافيا وإنساناً وقضية لم يشهد تاريخ البشرية اعقد منها، مع ما سيرافق كل هذه العناصر من تأثيرات وتفاعلات تفضي إلى تحولات تُخضِعُها الظروف لقراءات شتى.

يتضمّن «تحولات النخبة الفلسطينية ـ مراجعات في التاريخ والهوية» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) للكاتب أبو فخر، مقدّمة وخمسة أبحاث/ دراسة. خُصّص الفصل الأول لدراسة «تحولات النخبة الفلسطينية: من الأعيان والأغوات إلى التبعثر وضمور الفاعلية»، فاستنتج خمسة عناوين طاولتها تحولات في المجتمع الفلسطيني تزامنت وترافقت مع أوضاع فلسطين السياسية والإدارية والاقتصادية والكفاح المسلح والعولمة.

بقراءة سوسيولوجية، نفسية، ناقدة، انتمائية في آن، أراد أن يثير «الأسئلة في وجه بعض المؤرّخين الفلسطينيين ممن امتازوا بغزارة الإنتاج وهزال المعرفة» (لم يذكر أي اسم من هؤلاء) فعرّض للبنى الاجتماعية الفلسطينية منذ العهد العثماني وصولاً إلى العولمة، وتحديداً الصراعات الشخصانية لرجالات تلك الحقبات، وقد صبّت في خدمة العدو الصهيوني واحتلاله فلسطين في بعض جوانبها. هنا يركز على «الانقسام الأبرز الذي شهدته فلسطين في حقبة الانتداب البريطاني بين آل الحسيني وآل النشاشيبي»، ما أدى إلى تعاون معارضي الحاج أمين الحسيني مع عصابات الهاغانا، وتقديم المعلومات الأمنية لهم عن أنصار الحسيني. يكشف المؤلف عن بعض أسماء كبار العائلات وتعاونها مع الصهاينة، وعمليات بيع الأراضي لليهود، متوقفاً عند وثيقة كينيت ستاين حول بيع الأراضي في فلسطين «وذهول كثيرين أمام الحقائق الواردة في الوثيقة». تناولت الوثيقة الأسماء والتواريخ والأمكنة والبائعين وهم أعلام وقادة في الحركة الوطنية الفلسطينية أمثال موسى العلمي، وهاشم أبو خضرا، وفهمي الحسيني، وموسى كاظم الحسيني، وراغب الإمام، وصبحي الخضراء، ومعين الماضي، ومغنم مغنم، والفرد روك، وفؤاد السعد، وإبراهيم صهيون، وعاصم السعيد، ورشاد الشوا، ومحمد صالح شبل، وصدقي الطبري، وعوني عبد الهادي وغيرهم كثيرون. (ص48-49). يقول: «فهل نتساءل بعد ذلك لِمَ سقطت فلسطين بأيدي الحركة الصهيونية؟».

لكنّ الغريب من جانبنا ـ إلى جانب تساؤل أبو فخر عن سقوط فلسطين في أيدي الحركة الصهيونية ـ هو لماذا استمر هذا السقوط ومرور كل هذه العقود، وكيف لرموز وأسماء شبيهة بمن وردت أسماؤهم آنفاً من خيانة لفلسطين، أن نرى أمثالهم في سدة السلطة هذه الأيام مع تنسيق أمني فعّال وكامل لا يخدم إلا المشروع الصهيوني، مع دعم إعلامي تبريري لهذه السلطة؟

إذاً، لعب التكوين الاجتماعي الفلسطيني في الحقبات المتعاقبة وانقساماته في السياسة، وتشكيلاته الما دون أهلية، والتمايز الاجتماعي الحاد بين أهل الأرياف وسكان المدن، وضعف القدرات في الاستعداد للقتال، وغياب التجهيزات التسلّحية (ونفاق النظام العربي المُستلب قراره) إلى تعميق القصور الذاتي أمام المشروع الصهيوني ومواجهته، من دون أن نخفي دور الانتداب البريطاني والغرب في دعم هذا المشروع الصهيوني/ الاستيطاني/الإحلالي إلى آيامنا هذه.

في تسلسل بروز النخب في ظل التحولات، يتوقف صقر أمام ما أسماه بهوية الشتات والنخب الجديدة التي تطوّرت بعد نكبة الـ 48، «هذه التجربة اشترك فيها الفلاحون اللاجئون والأعيان القدامى وأبناء المدن الساحلية والداخلية». لكنّ هذه النخب الجديدة انشطرت خارج فلسطين إلى قسمين: رجال أعمال حوّلوا أموالهم خارج فلسطين في عام 47، وشكّلوا لاحقاً أغلبية أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني الأول، إلى جانب التكنوقراط الجدد والأنتلجنسيا الجديدة من المناضلين البارزين في الأحزاب القومية العربية كحزب «البعث» و«حركة القوميين العرب» والناصريين (مجلس القدس 1964). أما في الأردن «وبعد استتباب الحكم للملك عبدالله بعد تفاهمه مع إلياهو بن ساسون، راح يعيّن أبناء العائلات المناهضة لزعامة الحاج أمين الحسيني، وفي تلك الأثناء كانت النخبة الفلسطينية الجديدة التي أطلقت الكفاح المسلح في 1965/1/1 تتكون بعيداً عن تلك العائلات وخارج رحم الملاكين والتجار ورجال الأعمال» (ص 60-61)، في حين أنّ النخب المعولمة وجدت ضالتها «في الفارة ولوحة المفاتيح/ الكيبورد»، فمن غير الممكن وصفها بالنخب الجديدة وإن كانت تنحو في مسلكها السياسي أو الثقافي مسلك النخب المضطربة بسبب التشرذم. يستدرج المؤلف التاريخ في تشكيل هوية المجتمع الفلسطيني، واضعاً حداً فاصلاً بين مفهوم الوطنية/ القومية التي لم تكن قائمة أو معروفة في هذا المجتمع (مفهوم نشأ في الغرب)، وبين المكان بمعنى الوطن الذي افتقده الشعب الفلسطيني بعد نكبة 48، ومنها استمسك بالذاكرة كذخيرة حيّة، مع الإشارة المشتركة بيننا وبينه إلى أنّ الوطنية الفلسطينية لم تخمد أو تفقد أحقيتها بسبب البعد العربي للقضية، وبالتالي لم يصبح الفلسطيني هنديّاً أحمر (!) مع تركيزه على تصحيح بعض المرويّات. ومن هنا يدخل في نقده اللاذع لبعض المرويات عن التاريخ الفلسطيني، فلم يترك أي دلالة على «ثورية» ظاهر العمر الذي «لم يمتلك وعياً وطنياً، فالولاءات كانت معقودة آنذاك للحكام والعشائر والعائلات والطوائف والمناطق». ويضع توصيف بطولات العمر ضمن التلفيق التاريخي، كما أنه يشبهها بتلفيقات مؤرّخين لبنانيين لتاريخ لبنان. بالتالي، فلكثرة تنقلات ظاهر العمر وأطماعه بالتوسع ما بين عثماني وروسي، أدّى ذلك إلى مقتله بتحريض من أحد أولاده، كما يرد في النص.

بعيداً عن وفرة الإصدارات في السيَر والمذكّرات لقيادات فلسطينية وقد أحصاها بـ 245 كتاباً/ مذكّرات وهي الأعلى عربياً (مع إشارتنا إلى زيادة ملحوظة في كتابة مذكّرات الأسرى وتجاربهم) فإن الذاكرة من عوامل الحفاظ على الهوية، ولكن ليس كل ذاكرة تبني مستقبلاً، كما ليس كل مذكّرات معصومة من ثقوب الغربال!

يتوقف عند هوية الشتات والنخب الجديدة التي تطوّرت بعد النكبة

لمحات

سعد ناجي جواد

■ يقدّم كتاب «العراق بعد الغزو: تشرذم ـ ولادة جديدة ـ اندماج» (مركز دراسات الوحدة العربية) للباحث العراقي سعد ناجي عرضاً تاريخياً وتحليلياً مفصّلاً حول غزو العراق عام 2003 وما سبقه من ظروف إقليمية ودولية مهّدت لهذا الغزو وما أعقبه من أحداث وتداعيات أدت إلى تدمير كل مقوّمات البلد المؤسسية، والعسكرية والمدنية، ومقتل مئات الآلاف من أبنائه، ونهب ثرواته وتفتيت المجتمع، وتقسيم الشعب دينياً ومذهبياً وإثنياً. فقد حَوّلَ الاحتلال إلى دولة فاشلة ينهشها الإرهاب والفساد والانقسام الداخلي. يهدف الكاتب إلى إثبات زيف ادّعاءات التحالف «الأميركي البريطاني الإسرائيلي» لتبرير شن الهجوم العسكري ضد العراق، والأهداف المُلفّقة التي طرحها بشأن مستقبل البلد، وإظهار عدم قانونية هذا الاحتلال ومدى انتهاكه الشرعية الدولية.

إليف شافاك

■ تهدي الكاتبة التركية أليف شافاك روايتها الجديدة «جزيرة الأشجار المفقودة» (2022) الصادرة حديثاً عن «دار الآداب» (ترجمة أحمد حسن المعيني) إلى المهاجرين والمنفيين في كل مكان، وإلى أولئك الذين غرسوا لهم جذوراً جديدة، وإلى من لا جذور لهم. تبدأ الرواية بقصة المراهقة «آدا» التي لجأت إلى إنكلترا مع والدها كوستاس اليوناني، وهو رجل غريب الأطوار يشعر بالارتياح بين أشجاره ونباتاته أكثر من رفقة البشر. تخلق إليف شافاق في هذه الرواية شخصيات تفيض بالإنسانية ولكن أيضاً بالتناقضات والعيوب، وتروي قصة حب ممنوعة وُلدت في جو من الكراهية والعنف اكتسح كل شيء في طريقه. يستدعي نثر شافاك القوي مزيجاً ذكياً من الدهشة والحلم والحبّ والحزن لتحرير أصوات الأجيال السابقة، والتي غالباً ما تركن إلى الصمت.

أندريس باربا

■ «جواستابينو» (2020) رواية تاريخية للإسباني أندريس باربا صدرت ترجمتها أخيراً عن «دار ذات السلاسل» الكويتية (ترجمة أحمد عبد اللطيف). تتناول الرواية أحد أشهر المعماريين الإسبان في القرن التاسع عشر. اضطر المؤلف إلى إعادة بناء سيرة هذا الرجل من الصفر عبر وثائق شحيحة وتاريخ شركة الإنشاءات التي أسّسها المعماري. إنها كتابة عن زمن بعيد، لكنه متجسّد في بدايات لا تحكي فقط قصة مهندس معماري، لكن قصة حضارة عريقة انتقلت من بلد إلى آخر عبر فرد موهوب. تتناول الرواية قصة جواستابينو وهو معماري فاشل يهرب من مدينته بالينثيا في إسبانيا، ليصل إلى نيويورك في أوائل القرن التاسع عشر. هناك، يصبح المؤسس لعمارة المدينة الأميركية بعدما استوحى عمارة مدينته الأم، كالقباب الإسلامية والشرفات والنوافذ، ليعيد إنتاجها في مدينته الجديدة.

احمد زكريا الشلف

■ يتناول المؤرّخ المصري أحمد زكريا الشلق في كتابه «من النهضة إلى الاستنارة» (دار الكرمة) جوانب من تاريخ الفكر المصري وتحديثه خلال الفترة الممتدة من بداية القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين. يعالج الكاتب الأفكار الجديدة وإسهامات المفكرين المصريين ورؤاهم في سياقها من حركة التاريخ المصري في تطوره الاجتماعي والسياسي والثقافي. يُقدم الشلق تعريفاً موجزاً بأهم المفكرين المصريين وبالمناخ الذي أسهم في تكوينهم، ويربط ذلك بالحقائق والمعلومات التاريخية المتعلقة بالمرحلة التي عاشوا فيها. يتمعن الكتاب في دراسة فكر النهضة والحداثة والاستنارة في مصر، مضيئاً على إنجازات أهم الروّاد أمثال الشيخ حسن العطار، والإمام محمد عبده، وقاسم أمين، وأحمد فتحي زغلول، وأحمد لطفي السيد.

ميشال فوكو

■ كيف يمكن للمجتمع أن يعاقب الأفراد الذين يرتكبون جريمة؟ يحتوي كتاب الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو (1926- 1984) «المجتمع العقابي» الصادر بترجمة عربية عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» (ترجمة نصير مروة) على 13 محاضرة ألقاها فوكو في «الكوليج دو فرانس» في عام 1973. تبحث هذه المحاضرات في الطريقة التي تشكّلت بها العلاقات بين العدالة والحقيقة التي تحكم القانون الجنائي الحديث، والرابط بينها وبين نظام عقابي رجعي لا يزال يهيمن على المجتمع المعاصر. يعيد فوكو التفكير في الأسس العقابية والقوانين منطلقاً منذ العصور القديمة، ومنتقداً النزعة الإنسانية العقابية لعصر التنوير. ويعتبر السجن مؤسسة رسمية تسعى للتأديب الاجتماعي وقمع المخالفين للسلطة السياسية والسيطرة البوليسية على المواطنين.

اليزا شوا دوسابات

■ لقاء غير متوقّع بين ثقافتين مختلفتين وبين كائنين يفرقهما كل شيء، في رواية «ذات شتاء في سوكشو» (2016) للكاتبة الفرنسية الكورية اليزا شوا دوسابات. في هذه الرواية الصادرة بترجمتها العربية عن «دار هاشيت أنطوان/نوفل»، تروي الكاتبة قصة شابة فرنسية كورية تعمل في فندق قديم متهالك في سوكشو، وهي مدينة صغيرة على الجانب الجنوبي من الحدود بين الكوريتين، تتحول في الشتاء إلى منطقة مهجورة ومتجمّدة. تشعر الفتاة بالملل والاختناق بسبب الخوف الكامن من الجار المرهق إلى الشمال والضغط النفسي من العيش في مجتمع حيث يجب أن تكون متزوجاً، وجميلاً، ولو كان ذلك بفضل الجراحة التجميلية. قصة شاعرية تجعلنا نغرق في الشتاء الكوري الجنوبي الكئيب. رواية تجعل المرء يُدرك أنّ الحياة ليست سوى هروب مستمر.

أوراق

صورة الإله مطعم الطير في تيماء

زكريا محمد *

لدينا من مجموعة تشارلز هوبر من الجزيرة العربية قطعة خاصة من تيماء. وهي موجودة الآن في متحف اللوفر. والمعلومات عنها شحيحة جداً. حتى أنني لم أستطع أن أعرف بشكل مؤكد إن كانت القطعة نحتاً حجرياً أو معدنياً، مع أنها تبدو كقطعة حجرية. واعتقادي أن هذه القطعة شديدة الأهمية في ما يخص أديان الجزيرة العربية قبل الإسلام، وأديان المنطقة عموماً، كما ستقترح هذه المادة.

القطعة تصوّر بهو معبد، أو بوابة معبد، بعمودين ضخمين. وفي الداخل هناك رجلان: واحد يمثل ملكاً أو إلهاً جالساً على عرشه ويحمل بيده اليسرى صولجاناً، وفوق قبضته طائر ما. وأمام الرجل الجالس، هناك رجل واقف أضأل حجماً، يرفع يده اليمنى في نوع من تحية ربما، وفي يده اليسرى ما يبدو أنه طبق ما فيه تقدمة ما. الطائر يبدو منتبهاً للرجل وللطبق في يده، وبحيث يمكن للواحد أن يفترض، وبشكل ما، أن التقدمة في الطبق تقدم للطائر الذي يقف على قبضة الإله- الملك على العرش. وهو ما يشير إلى أن ما في الطبق ربما يكون طعاماً للطائر، الذي يبدو أنه على علاقة مباشرة بالإله الجالس على العرش، أو قل إنّه رمزه وتجسيده.

وهذا يذكّرنا بالصنم- الإله «مطعم الطير» الذي كان منصوباً على جبل المروة في مكة: «ونصبوا على الصفا صنماً، يُقال له: مجاور الريح [الأصل مجاوز] وعلى المروة صنماً، يقال له: مطعم الطير» (تاريخ اليعقوبي). وإذا صح، فإن الرجل الذي يحمل الطبق في يده هو طراز من «مطعم الطير»، وإنه يحمل في طبقه طعاماً للطائر الذي يمثل الإله الذي يجلس على العرش، ويقف على قبضته.

كما أن الاثنين يذكران بإيليا التشيبي التوراتي الذي أطعمته الغربان: «كانت الغربان تأتي إليه بخبز ولحم صباحاً، وبخبز ولحم مساء، وكان يشرب من النهر» (الملوك الأول17:6). ومن الواضح أن الغربان كانت تتلقى التقدمات المقدمة لهذا الإله وتأكل وتطعم منها إيليا. والاسم إيليا يعني: «الإله يا» في أغلب الظن، أي الإله «يهوه»، الذي يتماهى مع «يهد، أهد».

وإن صحّ هذا الاستخلاص، فهو يذكّر بقطعة نقدية من فلسطين عُثر عليها في القرن التاسع عشر، ونشرها المتحف البريطاني عام 1914. القطعة تصوّر رجلاً جالساً على عربة مجنحة، يقف على كفه اليسرى طائر يشبه غراباً ربما، وإلى اليمين رجل يبدو مسناً واقفاً تحت الطائر. لكن الذي أثار الضجة وقتها أنّ الحروف حول رأس رجل العربة، قرئت على أنها «يهوه»، أي يهوه. بالتالي، فقد ظن حينها أننا حصلنا، وللمرة الأولى على صورة ليهوه التوراتي. لكن تبين في ما بعد أن الكلمة قرئت خطأ. فالحرف الثالث فيها دال وليس واواً. أي أننا مع «يهد» لا «يهو». وقد ثبت هذا بعد اكتشاف قطع أخرى عديدة عليها كلمة «يهد» بوضوح. وقد افترض بالتالي أن الكلمة على قطع العملة تعني «يهودا»، أي أننا مع قطع صادرة عن مقاطعة يهودا في منطقة القدس. وقد اعتقد أن القطعة من العهد اليوناني، أو من العهد الفارسي على أبعد تقدير. هذا الاستخلاص ضيّع المشهد على قطعة النقود التي نتحدث عنها، ولم يعد مفهوماً، وألغى احتمال الربط بين الاسم «يهد» وبين الرجل الجالس على العربة. أي ألغى احتمال أن يكون «يهد» هو الجالس على العربة.

والحال أنّ قطعة تيماء تعيد فتح ملف قطعة «يهد» الفلسطينية من جديد. فلدينا في القطعتين رجلان وطائر يقف على اليد، والفارق هو عدم وجود الطبق في قطعة «يهد». لكن من السهل افتراض وجوده. عليه، يمكن للمرء أن يفترض أننا مع الأسطورة الدينية ذاتها. أي أننا مع «مطعم الطير» ومع إله- ملك آخر يتقبل طعام الطائر الذي يقف على كفه. وفي هذه الحال، فمن الواضح أن الرجل الذي يظهر وجهه تحت الغراب في قطعة النقد مثيل للرجل الذي يحمل الطبق في تيماء. بذا فهو طراز من «مطعم طير». أي أنه هو الآخر على علاقة ما بالإله الذي نصب صنمه على جبل المروة المكي. وإذا صح هذا، يكون الإله الذي يحمل الطائر ويجلس على العرش، أو على العربة المجنحة، هو مستقبل طعام الطير، أي مستقبل التقدمة- الأضحية. أي أن «يهد» هو اسم من يستقبل التقدمة من «مطعم الطير» في فلسطين. ومن اسم هذا الإله أخذ اسم مقاطعة يهودا في منطقة القدس، ومنه أيضاً أخذ اسم الديانة اليهودية لاحقاً.

وإذا كان «مطعم الطير» على المروة مشابهاً للرجل الذي يطعم الطائر في قطعة تيماء، ومشابهاً للرجل الذي يظهر وجهه في قطعة «يهد» الفلسطينية، فإن المنطقي أن نفترض أنّ الرجل الذي يقف الطائر على يده في القطعتين يساوي الصنم المقام على الصفا، أي أنه طراز من «مجاوز الريح». بذا فالإله ذو الطائر هو «مجاوز الريح» المكي. والاسم مجاوز الريح، الذي صُحّف ليقرأ بالراء «مجاور»، يعني: ساقي الخمرة. فالجذر جوز يعطي معنى السقاية، والريح هي الخمرة. بالتالي، فنحن مع الطعام والشراب، أي مع الرفادة والسقاية، المهمتين الدينيتين المركزيتين في مكة قبل الإسلام.

هذا يعني أنّ «يهد، يهودا، أهود» على قطعة عملة فلسطين اسم إله في الأصل. وكنت قد توصلت إلى هذا الاستخلاص في كتابي: «عندما سحقت حية موسى: نشوء الديانة اليهودية في فلسطين في العصر الفارسي». وقد بينت في ذلك الكتاب أن بني إسرائيل في التوراة كانوا يعبدون إلهاً اسمه «إسرائيل»، في حين كان بنو يهودا يعبدون إلهاً اسمه «يهودا، أهود».

صورة الإله يهد

ولحسن الحظ يبدو أنني عثرت بالفعل على هذا الإله مصوراً على تمثال نذري في أحد المواقع التي تتعامل مع القطع الأثرية المحفورة بشكل غير شرعي وعلى اللينك أدناه.

لكن حين عدت إلى اللينك أثناء كتابة المادة، وجدت أن الصورة قد حذفت. ويحدث هذا في العادة حين تباع القطعة. وليس لدينا أي معلومات عن القطعة. فمن نشرها لم يعطنا أي معلومات عنها وعن مكان العثور عليها. لكن كما نرى في الصورة أعلاه، فهناك رجل يرفع كفيه أمام المشاهد في حركة ذات طابع ديني واضح، وعلى صدره كتبت كلمة تقرأ من اليسار إلى اليمين هكذا: «أهد» أي «أهود». وهو نفس الاسم على قطعة العملة الفلسطينية، لكن مع تحويل الياء إلى هاء. ونحن نعلم أن الاسم «يهد» يرد في التوراة كـ «أهود»، أي بالألف لا بالياء، وكاسم لواحد من قضاة عصر القضاة. بناء عليه، يمكن القول إنّه صار مؤكداً وجود إله اسمه «يهد، أهد».

وإذا نظرنا إلى حروف الكلمة، فإنّ حرف الألف يشبه ألف عدد من أبجديات شمال الجزيرة العربية، وهذا ما يوحي بأنّ أبجدية النقش على علاقة بالجزيرة العربية. أما الحرف الأوسط، حرف الهاء، فيبدو الأشد قدماً من حيث شكله. فهو يشابه حرف الهاء في نقش وادي الهول، وفي النقوش السينائية عموماً. وهو ما يشير إلى أنّ النقش قديم جداً. وتقديري أنه ربما أتتنا من القرن العاشر قبل الميلاد. بذا فالإله الذي نتحدث عنه موجود منذ زمن موغل في القدم.

وكنت قد ركزت في كتبي عن ديانة مكة في الجاهلية على أنّ لقب عبد المطلب بن هاشم، جد الرسول محمد، هو «مطعم الطير»، واستخلصت أنه كان كاهناً للإله مطعم الطير. لذا فهو يحمل لقب إلهه لأنه ممثله على الأرض. كما بينت أن عبد المطلب ذبح ابنه عبد الله رمزياً للطير. ونقول رمزياً لأنه فداه بحيوانات في نهاية الأمر، وأطعمها للطير على رؤوس الجبال.

أما جذر طقس ذبح الولد كأضحية، فعلى علاقة بالماء. فنحن نعلم أنّ عبد المطلب أعلن حين كان يحفر زمزم قوله: «اللهم إن سقيت الحجيج ذبحت لك بعض ولدي؛ فأسقى الحجيج منها؛ فأقرع بين ولده، فخرجت القرعة على ابنه عبد الله» (الزمخشري، الكشاف). بالتالي، فالحصول على ماء زمزم لسقاية الحجيج كان يقضي تقديم عبد الله كأضحية. من دون هذه الأضحية ما كان يمكن لعبد المطلب الحصول على ماء زمزم، أي على الماء السفلي. ومن هذا فقد حفر عبد المطلب زمزم «عند نقرة الغراب الأعصم»، أي أنه حفر في المكان الذي حدده الغراب. ذلك أن الغراب ممثل لإله الماء السفلي. والغراب في ما يبدو هو الذي يقف على يد الرجل في قطعة تيماء وفي قطعة النقد الفلسطينية. بذا يمكن استنتاج أنّ الأضحية كانت مقدمة للغراب، كممثل لإله الماء السفلي. لقد كان على عبد المطلب لكي يحصل على الماء السفلي، أن يقدم أضحية لهذا الإله، وأن يأكلها الغراب- الطائر الذي هو رمز هذا الإله. أما في قطعة تيماء، فيمكن افتراض أن الطبق في يد الرجل الواقف يحوي لحم هذه الأضحية، لكن بعدما استبدل الولد بأضحية حيوانية.

عليه، فالرجل الواقف هو مطعم الطير، أو كاهنه، وهو يقدم الأضحية للطائر الغراب، الذي هو تجسيد إله الماء السفلي، هذا الإله الذي هو، في ما يبدو، طراز من «مجاوز الريح» الذي نصب على المروة. إذن، فقطعة تيماء قطعة خطيرة جداً تكشف لنا ديانة الجزيرة العربية قبل الإسلام في أعمق جذورها.

* ملاحظة: المادة مختصر لفصل من كتاب قادم أعده عن (الإله مطعم الطير).

Samedi 10 Decembre 2022 no46
السبت 10 كانون الأول 2022 العدد 46

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

القانون الأميركي: إسرائيل أولاً

[2-3]

(من الويب)

الكفّ «الخفيف».. ممنوع

5-4

لشو التفتيش؟

6

بحثاً عن حقوق.. في كليّة الحقوق

7

فخّ التطبيقات الإلكترونية المشبوهة

8

في العمق

كيف يمكن تكوين مفهوم واضح للمساعدات العسكرية الاميركية للجيش اللبناني، علماً ان حماية «إسرائيل» وتطوير قدراتها العسكرية يشكلان جزءاً اساسياً من سياسة الولايات المتحدة؟ بمناسبة إدراج بند يتناول مشروع مرسوم يرمي إلى إبرام اتفاقية بين حكومة الجمهورية اللبنانية وحكومة الولايات المتحدة، بشأن قانون المساعدات الخارجية على جدول اعمال اجتماع حكومة تصريف الاعمال. راجعنا نصوص القوانين الاميركية المرتبطة بالامر، ونعرض في الآتي بعض الملاحظات المتعلقة بتعزيز «تحقيق الاهداف الامنية للولايات المتحدة الاميركية»، وهو الهدف الاساسي لـ«المساعدات»

المساعدات العسكرية للجيش اللبناني

القانون الأميركي: إسرائيل أولاً

(من الويب)

عمر نشابة

وجّهت رئاسة مجلس الوزراء كتاباً إلى الوزراء (رقم 2069) في الثاني من كانون الأول الجاري، حدّدت من خلاله جدول أعمال الجلسة التي انعقدت في الخامس من كانون الأول (الإثنين الفائت). وتضمّن الجدول البند الآتي: «مشروع مرسوم يرمي إلى إبرام اتفاقية بين حكومة الجمهورية اللبنانية وحكومة الولايات المتحدة الأميركية بشأن قانون المساعدات الخارجية لعام 1961، أو التشريعات اللاحقة وقانون الرقابة على تصدير الأسلحة بصيغته المعدّلة والقسم 333 من قانون الولايات المتحدة رقم 10. والصلاحيات الأخرى لوزارة الدفاع الأميركية وتقديم المواد الدفاعية والتدريب ذي الصلة والخدمات الدفاعية الأخرى، على شكل منحة من الولايات المتحدة الأميركية إلى حكومة الجمهورية اللبنانية بموجب هذه الصلاحيات» (الفقرة السابعة).

راجعت «القوس» نص قانون الرقابة على تصدير الأسلحة بصيغته المعدّلة، ونص قانون المساعدات الخارجية الأميركيين، والفقرة 333 من القانون رقم 10، وتبيّن أن دعم «إسرائيل» يبرز بشكل لافت ومكثّف في هذه التشريعات. إذ يتناول القانون الأول دعم «إسرائيل» في 27 فقرة، بينما يتناول القانون الثاني دعم «إسرائيل» في 51 فقرة، ولا يوجد ذكر لأي مساعدات أو تسهيلات مخصّصة للبنان.

يشير ذلك إلى الحجم المحدود جداً لكمية ولقيمة المساعدات التي يحصل عليها الجيش وسائر القوات المسلّحة اللبنانية من الولايات المتحدة، مقابل المساعدات العسكرية والمالية والإنمائية الضخمة التي تمنحها واشنطن لـ«إسرائيل». علماً أن القانون الأميركي للمساعدات الخارجية (الذي عُدّل في 15 آذار 2022)، يشير بوضوح إلى أن أحد أهداف المساعدات هو «تحفيز مسارات التطوّر التي تحترم الحقوق المدنية والاقتصادية للأفراد». بينما يرتكب جيش الاحتلال الإسرائيلي بشكل شبه يومي جرائم بحق الفلسطينيين، وينال من أبسط حقوقهم الإنسانية مستخدماً أسلحة وعتاد حربي أميركي الصنع حصلوا على جزء منه من خلال برامج المساعدات الأميركية. بالتالي باتت الولايات المتحدة بمثابة مساعد على انتهاك الحقوق والإفلات من العقاب، بدل أن تحفّز على احترام الحقوق كما يرد في تشريعاتها. ولا بد من التذكير أن الجزء الأكبر من الأسلحة التي استخدمها الجيش الإسرائيلي لقتل مدنيين وتدمير منشآت حيوية خلال عدوانه المتكرر على لبنان، وخلال احتلاله للعاصمة بيروت وللجنوب، كان بواسطة مساعدات أميركية لم تختصر على التغطية السياسية بل شملت كذلك تطوير الترسانة العسكرية الإسرائيلية.

اولوية حماية إسرائيل

في القانون الأميركي للرقابة على تصدير الأسلحة (رقم 90-629)، والتعديلات التي أُدخلت عليه في 27 كانون الأول 2021، يُذكر أن الأسلحة الأميركية «تباع أو تمنح للدول الصديقة فقط للأمن الداخلي وللدفاع المشروع عن النفس ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل» (القسم الرابع، الفقرة 2754). لكن هل يمكن أن يستخدم الجيش اللبناني أياً من الأسلحة التي حصل عليها كمساعدات أميركية للدفاع المشروع عن نفسه بوجه أي اعتداء من الجيش الإسرائيلي؟

تجيب الفقرة 2776 (القسم 36) من القانون نفسه على هذا السؤال، إذ يرد فيها حرفياً أن «أي ترخيص يتعلّق ببيع أو تصدير السلاح

> **يمنع بيع أو تصدير أسلحة او اي عتاد عسكري لاي دولة إذا تبيّن لرئيس الولايات المتحدة انها لا تتعاون بشكل كامل مع الجهود الاميركية لمكافحة الإرهاب**

إلى أي بلد في الشرق الأوسط غير إسرائيل، يجب أن يتضمّن تأكيداً بأنه لا يؤثر سلباً في التفوّق العسكري النوعي لإسرائيل في مواجهة التهديدات العسكرية التي تواجهها». فكيف يمكن أن يقوم الجيش اللبناني بواجباته الدفاعية من دون أن يكون مسموحاً له أن يطوّر قدراته ليلاقي أو يتفوّق على القدرات العسكرية للجهة المعتدية عليه؟

القانون الأميركي يستدعي «شرحاً مفصّلاً للقدرات العسكرية الإسرائيلية في مواجهة أي تطوير لقدرات عسكرية يكتسبها أي بلد في الشرق الأوسط من الولايات المتحدة الأميركية» (الفقرة 2776). وتتابع الفقرة نفسها في نص القانون بالإشارة إلى أن «التقييم المفصّل يفترض أن يتضمّن عرض الأهلية الإسرائيلية للرد على التطوير العسكري» لأي دولة في الشرق الأوسط.

كما أضاف المشرع «وجوب تحديد التحديث الذي تتطلبه القدرات العسكرية الإسرائيلية لناحية التدريب والتجهيز»، وتقديم «تطمينات إضافية لإسرائيل تتعلق بمبيعات الأسلحة». واللافت هنا تضمين نص القانون الأميركي تعريفاً لـ«التفوّق العسكري النوعي لإسرائيل» Qualitative Military Edge، وهو «القدرة على مواجهة وإلحاق الهزيمة بأي تهديد بواسطة الأسلحة التقليدية من أي دولة أو مجموعة دول أو جهات غير حكومية، باقل الأضرار والخسائر، وذلك بفضل القدرات العسكرية المتفوّقة والمتوافرة بشكل كاف، بما في ذلك الأسلحة والسيطرة والاتصالات والاستخبارات والمراقبة والاستطلاع المتفوّقة تكنولوجياً على أي دولة أو مجموعة دول أو جهات غير حكومية».

يحدّد القانون الأميركي للرقابة على تصدير الأسلحة إطار المساعدات العسكرية وشروطها وأهدافها. إذ يذكر أن «الدول النامية تواجه صعوبة في تغطية حاجاتها المشروعة للدفاع بسبب الأثمان المرتفعة للمعدات الدفاعية» (القسم الأول الفقرة 2751).

وأضاف المشرع الأميركي في القسم نفسه إشارة إلى أن «الترتيبات مع الدول الصديقة تدفع نحو تحقيق هدف استخدام الموارد المتفق عليها في كل بلد في برامج ومشاريع تبادل معلومات وأبحاث وتطوير وإنتاج ودعم لوجيستي لتحقيق أهداف مشتركة». وتختم الفقرة في نص القانون بالحسم أن المساعدات ومبيعات الأسلحة الأميركية تهدف إلى «تعزيز تحقيق الأهداف الأمنية للولايات المتحدة الأميركية». وأن أي موافقة على تصدير الأسلحة ينبغي أن «تتلازم مع مصالح السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأميركية»، حيث لا شك أن دعم وحماية «إسرائيل»، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، يشكلان أحد أسس السياسة الخارجية الإسرائيلية. ولا يكف المسؤولون الأميركيون عن تكرار مقولة «إن الدعم الأميركي لإسرائيل لا يتزعزع ولا ينحسر». كذلك شدّد وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن الأحد الفائت على ذلك، إذ قال إن «موضوع الشراكة بين الولايات المتحدة وإسرائيل كان دائماً مضموناً بالتزام الولايات المتحدة الصارم بأمن إسرائيل، وهو التزام لم يكن أقوى مما هو عليه اليوم» (أسوشييتد برس 4 كانون الأول).

ويتضمّن القانون الأميركي تسهيلات خاصة واستثنائية لتصدير الأسلحة إلى «إسرائيل». إذ يحدد القسم الثالث من قانون الرقابة على تصدير الأسلحة خمس دول، إضافة إلى دول حلف شمال الأطلسي، لا يتطلب تسليحها أميركياً توقيع اتفاق ثنائي معها هي: أستراليا، نيوزيلاندا، كوريا الجنوبية، اليابان وإسرائيل.

تجاوز التناقض الكبير؟

قانون الرقابة على تصدير الأسلحة الأميركية وقانون المساعدات الخارجية الأميركية، يمنعان بشكل قاطع التعامل مع أي دولة تُقدم تسهيلات لتنظيمات مصنّفة إرهابية من قبل وزارة الخارجية الأميركية. وكانت الأخيرة قد صنّفت حزب الله تنظيماً إرهابياً بشكل رسمي منذ 8 تشرين الأول 1997 (خلال ذروة عمليات المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي للجنوب).

إنّ القسم 40 (الفقرة 2780) من قانون الرقابة على تصدير الأسلحة، يشير إلى أن «تصدير أي نوع من الذخائر والأسلحة من خلال البيع أو الاستدانة أو المنح أو الهبات، بشكل مباشر أو غير مباشر، ممنوع لأي دولة تدعم أنشطة إرهابية دولية».

لا يمكن لهذا التناقض الأكبر في منح مساعدات أميركية للجيش اللبناني، بينما يُحسب بعض الوزراء في الحكومة وبعض كبار الموظفين في إدارات الدولة على حزب الله، وبينما لحزب الله كتلة نيابية واسعة في البرلمان منحت الحكومة الحالية الثقة، وهي تشارك في مناقشة القوانين وفي تحديد سياسة الدولة وتوجهاتها. بل إن التناقض الكبير يكمن في القسم A40 (الفقرة 2781) إذ ورد فيها: «يُمنع بيع أو تصدير أسلحة أو أي عتاد عسكري لأي دولة إذا تبيّن لرئيس الجمهورية الأميركية أنها لا تتعاون بشكل كامل مع الجهود الأميركية لمكافحة الإرهاب».

فهل تتعاون حكومة تصريف الأعمال التي يرأسها نجيب ميقاتي، بشكل كامل مع الجهود الأميركية لمكافحة الإرهاب بحسب الرئيس الأميركي جو بايدن؟

أياً يكن الجواب لا بد من الإشارة إلى أن القانون الأميركي أتاح للرئيس الأميركي تعليق العمل بالفقرة التي تمنع تصدير الأسلحة «إذا كان ذلك يتناسب مع المصالح الوطنية للولايات المتحدة الأميركية» (الفقرة ب).

برامج المساعدات

يمنح القانون الأميركي (القسم 333 من القانون رقم 10 المذكورة في جدول أعمال جلسة حكومة تصريف الأعمال) وزير الدفاع الأميركي، صلاحية إطلاق برامج تدريب وتجهيز لقوى الأمن الوطني في عدد من الدول بهدف تطوير قدراتها في المجالات الآتية:

- عمليات مكافحة الإرهاب
- مكافحة أسلحة الدمار الشامل
- مكافحة الإتجار غير الشرعي بالمخدرات
- عمليات مكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود
- عمليات أمن الحدود البحرية والبرية
- الاستخبارات العسكرية
- التوعية بالنسبة للعمليات الجوية
- العمليات والأنشطة التي تساهم في العمل المشترك بين عدد من الدول
- الأمن الإلكتروني وأنظمة الحماية الإلكترونية

اللافت في القانون رقم 10 هو الإشارة إلى «تعزيز القدرة على ممارسة سيطرة مدنية مسؤولة على الجيش والقوات المسلّحة». لكن ما قد يثير بعض الشكوك هو الإشارة في الفقرة (e6) من نص القانون إلى وجوب إيداع وزير الدفاع اللجنة المختصة في الكونغرس الأميركي «وصف لعناصر خطة التعاون الأمني في مسرح العمليات للمواقع الجغرافية للقيادة العسكرية المعنية، والاستراتيجية المتكاملة المشتركة التي سيتم تطويرها من خلال البرنامج».

مصباح الرقابة الأزرق

يتضمن القسم 40A المذكور آنفاً فقرة تشير إلى «الرقابة على الاستخدام النهائي للأسلحة» الأميركية المصدّرة. ويكلّف القانون الرئيس الأميركي وضع «برنامج رقابة» للتأكد من أن الأسلحة تستخدم بشكل لا يتعارض مع المصالح الأميركية، ولا يخالف السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

يتيح قانون الرقابة على تصدير الأسلحة الأميركية (الفقرة g، 7، من القسم 38) لرئيس الجمهورية «التنسيق مع قوى إنفاذ القوانين والوكالات الأمنية الوطنية لتطوير معايير لتحديد عمليات تصدير الأسلحة لمراقبة الاستخدام النهائي لتلك الأسلحة».

ويعرف برنامج الرقابة على الأسلحة الأميركية المصدرة باسم «المصباح الأزرق» Blue Lantern، وهو يهدف إلى التأكد من تطابق استخدام المساعدات أو الصادرات العسكرية مع السياسة والمصالح الأمنية الأميركية.

(من الويب)

القانون الاميركي للرقابة على تصدير الاسلحة (رقم 90-629) (المعدل في 27 كانون الاول 2021)

القانون الاميركي للمساعدات الخارجية (1961) (المعدل في 15 آذار 2022)

القسم 333 من قانون الولايات المتحدة رقم 10. قوات الامن الاجنبية: سلطة بناء القدرات

قانون المساعدات الخارجية الاميركية

مخصّصات «إسرائيل»

• للتوسّع الاستيطاني

خصّص المشرع الأميركي القسم 226 (عنوانه «ضمانات القروض لبرنامج إسرائيل») من قانون المساعدات الأميركي بكامله لدعم «إسرائيل» خلال تسعينيات القرن الماضي. وورد في نص القانون تخصيص مساعدات بمليارات الدولارات لتغطية «الجهود الإسرائيلية الإنسانية الاستثنائية لإعادة توطين المهاجرين من جمهوريات الاتحاد السوفياتي ومن إثيوبيا ودول أخرى» (الفقرة 2186).

• للحماية من المساءلة

اللافت في نص القانون الأميركي هو أنه يضع شروطاً واضحة لحماية إسرائيل من أي مساءلة دولية أو أممية تتعلق بالتسليح النووي. إذ يرد فيه مثلاً أن نسبة محددة من المساعدات مخصّصة لتمويل الوكالة الدولية للطاقة الذرية «فقط إذا حسم وزير الخارجية الأميركي أن الوكالة لا تمنع إسرائيل من المشاركة في نشاطاتها» (القسم 302 الفقرة 2222).

• لبناء قاعدة جوية

الباب السابع من قانون المساعدات الخارجية الأميركية بعنوان «بناء قاعدة جوية في إسرائيل» (القسم 561 الفقرة 2349). إذ إن الولايات المتحدة قدّمت مئات ملايين الدولارات لنقل قاعدة جوية من شبه جزيرة سيناء (التي احتلها الجيش الإسرائيلي خلال حرب 1967) إلى الأراضي الفلسطينية المحتلّة.

• لتحفيز «المشاريع المشتركة»

تشير التعديلات التي أدخلت على نص قانون المساعدات الأميركي إلى تمويل «مشاريع مشتركة» بين الولايات المتحدة و«إسرائيل» ودول في طور النمو في مجال المياه والزراعة وتخزين الطاقة (القسم 106). كما يذكر نص القانون تمويل مشروع تحلية المياه المالحة في «إسرائيل» والدعم التقني والمالي و«مساعدات أخرى» (القسم 219).

• للضغط من اجل التعايش مع «إسرائيل»

يتضمّن التشريع الأميركي (القسم 620 الفقرة 2378) شروطاً واضحة للاستفادة من المساعدات. واللافت بالأمر هو الإشارة الواضحة إلى أن شرط استفادة السلطة التي تسيطر عليها حركة «حماس» من المساعدات هو «اعترافها العلني بحق دولة إسرائيل اليهودية بالوجود» والتزامها بحل الدولتين و«تطهير أجهزتها الأمنية من عناصر على ارتباط بالإرهاب».

كما يشترط القانون الأميركي على الفلسطينيين «تغيير المناهج المدرسية والكتب لتصبح داعية للسلام والتسامح والتعايش مع إسرائيل».

باسم الشعب

ملاحقة جرائم التعذيب
الكفّ «الخفيف» .. ممنوع

ضجّت وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي بخبر «وفاة الموقوف بشار سعود بسبب التعذيب»، وتم تداول صور جثته التي غطّتها الجروح والكدمات. في المقابل انتشرت ادّعاءات أخرى بأن وفاة الموقوف كانت نتيجة جرعة زائدة من المخدّرات. وفي 29 تشرين الثاني 2022، صدر قرار عن قاضي التحقيق الرئيسة نجاة أبو شقرا، استعرضت خلاله المحكمة العسكرية الوقائع والإفادات والأدلة، واصدرت قراراً اتهامياً بملاحقة المسؤولين عن جريمة التعذيب التي أودت بحياة سعود أثناء التحقيق معه. ورغم اهمية هذا القرار في إطار مناهضة التعذيب وتعزيز معايير العدل والإنصاف، إلا انه قد لا يكون رادعاً بالقدر الكافي لمنع ممارسة العنف على المشتبه بهم بهدف استخراج المعلومات وانتزاع الاعترافات. لذلك، يفترض معالجة المشكلة من جذورها عبر تأهيل الضابطة العدلية وتدريبها على كيفية استجواب المشتبه بهم وحمايتهم من دون التعرض للموقوفين جسدياً او معنوياً. (راجع القوس: «الأدلة الجنائية لا تكذّب ولا تخاف»، العدد 37)

قاطمة خشاب درويش، احمد مدلج

ساعتان وخمس وعشرون دقيقة فصلت بين بدء التحقيق مع بشار سعود ووصوله جثة إلى المستشفى. مفوّض الحكومة توجّه إلى نظارة مركز تبنين ليتابع حقيقة الأمر. تم ضبط المحضر الذي كان خالياً من التروسة، كما خلا من رقم أو تاريخ، ولم تُدوّن هوية منظمه، أمّا موضوعه فكان العمل على توقيف المدعو بشار عبد العبيد الملقّب «أبو مهند» (أي بشار سعود). وتمّ تزويد مفوّض الحكومة بقرص مدمج يتضمن فيديو يظهر لحظة وصول الموقوف إلى قسم التحقيق في تبنين، وفيديو آخر أثناء التحقيق معه في فرع التحقيق الأمني، حيث كان يبدو بصحة جيدة.

في الوقائع

بتاريخ 2022/08/30، أوقفت دورية من شعبة المعلومات في المديرية العامة لأمن الدولة المشتبه به سعود، وتم تسليمه عند الرابعة من فجر اليوم التالي إلى قسم التحقيق في تبنين التابع لمكتب بنت جبيل، كونه مطلوباً لهذ المكتب للاشتباه بتورطه في قضايا إرهاب. وعند السابعة صباحاً من تاريخ تسليمه، نقلت سيارة للصليب الأحمر سعود إلى مستشفى تبنين جثة.

تناقض بين الإفادات والأدلة

في الصفحة الثانية من محضر نظارة تبنين، وردت ملاحظة مفادها أنه عند السابعة وعشر دقائق صباحاً، تعرّض الموقوف بشار سعود لوعكة صحية نتيجة تعاطيه المخدرات بحسب إفادته، وتمّ نقله على الفور إلى مستشفى تبنين الحكومي بواسطة سيارة للصليب الأحمر، وبمجرد وصوله إلى طوارئ المستشفى فارق الحياة.

ولكن، خلال التحقيق الأولي مع المدّعى عليهم لدى مديرية التحقيق المركزي، أفاد المدّعى عليه النقيب (ح. إ) بأن بشار سعود «أُحضر إلى مكتب بنت جبيل وهو بصحة جيدة، وأن بشار تصرف مع المعاون (ي. ب) بطريقة عدائية، وأن هذا الأخير انهال عليه بالضرب بواسطة شريط شاحن لهاتف خلوي وبالركل أيضاً، وأنه أمر المعاون بالتوقف عن أفعاله تلك، وتابع استجواب الموقوف الذي أدلى بتعاطيه المخدرات وبانتمائه إلى داعش. ولم تمض عشر دقائق حتى سقط بشار أرضاً، فأمر برمي المياه عليه ظناً منه أنه يدّعي الإغماء، وعندما لم يستفق تمّ نقله إلى المستشفى حيث فارق الحياة».

تناقضت إفادة المدّعى عليهم مع تقرير الطبيب الشرعي الذي عاين الجثة: «العوارض الطبية الظاهرة على الجثة تدل على أنه تعرض للضرب بعنف على كامل جسده (خاصة على الظهر والأطراف) ومن جميع الاتجاهات، بأدوات مرنة بعضها ذو حافة حادة (حزام مع بكلته أو نبريش). وبأنه لا يمكن تفسير وفاته بوقت قصير أي بعد أقل من ساعتين على وصوله مع كل هذه العوارض إلا باستعمال قوة مفرطة أدت إلى الوفاة لأسباب متعددة: نزيف داخلي (كلوي وفي الطحال بسبب الضرب من الخلف)، أو صدمة نزفية (بسبب اتساع تمدد الأوعية الدموية الناتجة عن اتساع الكدمات) أو سكتة قلبية من كثرة الأوجاع والمجهود ونقص أكسجنة عضلة القلب الناتج عن هبوط في ضغط الدم، إضافة إلى سوابق مرضية إن وجدت، أو تناوله أدوية مخدّرة أو منشطة». وإلى ذلك، جاءت نتيجة الفحص المخبري لعيّنة البول التي تمّ سحبها من الجثة سلبية على 12 نوعاً من المخدّرات، من بينها الأمفيتامين وهو من مكوّنات الكبتاغون.

> **أفاد المدّعى عليه بأنه كان يكتفي بضرب الموقوف كفاً واحداً، وكان يستخدم هذه القوة في جرائم «كبرى» كالإرهاب والمخدّرات، أما في الجرائم الاخرى فتكون الضربة «خفيفة»**

«ضربة الكف»

أفاد المدّعى عليه الرقيب أول (خ. ز.) بأنه «كان يكتفي بضرب الموقوف كفاً واحداً وأن ضربته قوية وكان يستخدم هذه القوة في جرائم «كبرى» كالإرهاب والمخدرات، أما في الجرائم الأخرى فتكون الضربة «خفيفة». وللتأكد من عواقب «ضرب الكف» استأنست القاضي أبو شقرا برأي الطبيب الشرعي الذي أفاد بأن هذا النوع من الضرب قد يكون خطيراً، خاصة إذا كان الفاعل يتمتع ببنية قوية، ما قد يسبّب نزيفاً دماغياً.

قرار القاضي نجاة ابو شقرا

في 29 تشرين الثاني 2022، أصدر قاضي التحقيق العسكري القرار رقم 2022/160 بملاحقة المسؤولين عن جريمة التعذيب التي أدت إلى وفاة بشار سعود. وتم الاتهام والظن بكل من قام بضرب وتثبيت الضحية، وطاول الاتهام كل من لم يعترض على التعذيب ولم يخرج من غرفة التحقيق أثناء التعذيب بموجب قانون 2017/65 لمعاقبة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة. وقد جاء في القرار:

أولاً: حفظ صلاحية القضاء العسكري لنظر الملاحقة الراهنة.
ثانياً: اتهام المدّعى عليهما النقيب (ح. إ.)، والمعاون (ي. ب.)، بموجب المادة الأولى من القانون 2017/65 البند ب/4، وإصدار مذكرة إلقاء قبض بحق كل منهما، والظن بهما بموجب المادة الأولى من القانون 2017/65 البند ب/1، وبموجب المادة 166 قضاء عسكري.
ثالثاً: اتهام المدّعى عليهما المعاون (ع. خ.) والمعاون (ف. ف.)، بموجب المادة الأولى من القانون 2017/65 البند ب/4، وإصدار مذكرة إلقاء قبض بحق كل منهما، والظن بهما بموجب المادة 166 قضاء عسكري.
رابعاً: الظن بالمدّعى عليه الرقيب أول (خ. ز.) بموجب المادة الأولى من القانون 2017/65 البند ب/1، وبموجب المادة 166 قضاء عسكري.

لمزيد من الملاحقات

قرار القاضي أبو شقرا ليس الوحيد الذي يلاحق مرتكبي جرائم التعذيب بحق الموقوفين. وفي هذا السياق نستحضر قرار القاضي المنفرد الجزائي في بيروت هاني عبد المنعم الحجار، بتاريخ 2007/3/8، وأدان فيه أحد عناصر مفرزة بيروت القضائية بارتكاب جريمة التعذيب بحق عامل خلال التحقيق معه عام 2004. وذلك عبر استخدامه أسلوب «الفَرّوج» (حين يتم ربط اليدين إلى تحت الركبة مع إدخال قسطل من الخلف وراء الركبتين). بعد إنكار المشتبه به ارتكابه جريمة التعذيب وإنكار استعماله أسلوب الفَرّوج، استند القاضي إلى تقارير الطبيب الشرعي. حيث أثبت الطبيب في تقريره وجود إصابات ناتجة عن استعمال العنف والضرب الشديد والمتواصل في فترات مختلفة. كما تبيّن من الألوان المختلفة للكدمات، وشكل الإصابات أنها تتوافق مبدئياً مع الإصابات التي تحصل عند استعمال «وسيلة الفَرّوج». فتمّت إدانة مرتكب جريمة التعذيب سنداً للمادة 401 عقوبات. (راجع الأخبار: «ضرب شديد في أحد مخافر "الفَرّوج" في حكم قضائي للمرة الأولى»).

موسى: أولوية تطبيق المادة 47

يشدّد رئيس لجنة حقوق الإنسان النيابية النائب ميشال موسى لـ«القوس» على ضرورة «ألا يكون هناك تعذيب في أماكن التحقيق والسجون، ولا سيّما أن لبنان ملتزم بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان ووقّع على الاتفاقيات الدولية المناهضة للتعذيب، فضلاً عن كونه يخضع للمحاسبة الدورية من خلال منظمة الأمم المتحدة في ما خصّ الإخلال بتطبيق هذه القوانين». وأضاف: «المطلوب من الأجهزة الأمنية أن تحافظ على تنفيذ القانون ضمن أسلاكها، ويجب أن تكون التحقيقات ضمن الأطر التي ينظمها القانون خاصة المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية التي تحافظ على حقوق المدّعى عليهم والمتهمين». وخلص موسى إلى «أننا نعيش في أوضاع غير سوية في لبنان، ومعدل الجريمة في ازدياد، والمطلوب من كل جهة أن تقوم بدورها حتى نحافظ على الأمن والاستقرار في البلد، الضابطة العدلية تتبع الأصول في التحقيقات، والقضاء يصدر الأحكام استناداً إلى القانون بالسرعة اللازمة وبالطريقة العادلة بحق كل من يخالف القانون».

جرجس: مئات الحالات موثقة

كما شدّد رئيس الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان فادي جرجس، على ضرورة ملاحقة كل مرتكبي جرائم التعذيب، خاصة أن هناك مئات الحالات التي توثّقها لجنة الوقاية من التعذيب في الهيئة، ولا سيّما أن ضحايا التعذيب لا يذكرون أسماءهم في الشهادات خوفاً من ملاحقة المرتكبين. وأضاف: «القرار خطوة أولى للوصول إلى تحقيق العدالة، فمبدأ المحاسبة ضروري لكل من يرتكب جريمة التعذيب في لبنان، وعندما يصدر القضاة القرارات التي تدين المجرمين، سيشكل ذلك رادعاً لباقي الأفراد إن كان من الضابطة العدلية التي تمارس التعذيب أثناء التحقيق أو غيرها».

ليست مجرّد حبراً على ورق

لجريمة التعذيب أهمية كبيرة في النصوص المحلية كما الدولية في إطار مناهضتها، لما تشكله من خطورة لمبدأ إحقاق الحق ولأمن المجتمع، خصوصاً إذا كان التعذيب من قِبل الضابطة العدلية، ما يعزز شك المواطن في دولة القانون كون المسؤول عن حمايته هو الذي يرتكب جريمة بحقه.

انضم لبنان إلى اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، وإلى البروتوكول الاختياري للاتفاقية، بموجب قانونيْن صدرا عامَي 2000 و2008. كما أقرّ القوانين التالية:

- قانون إنشاء الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب (2016)
- قانون معاقبة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة (2017)
- قانون تعزيز الضمانات الأساسية وتفعيل حقوق الدفاع (2020)

(راجع القوس: «مناهضة التعذيب.. قوانين للزينة»، العدد 37).

(انكي بلاك ـ فرنسا)

مفهوم التعذيب

يرتبط مفهوم التعذيب الشائع بالضرب المبرح واستعمال الأدوات المختلفة، ما يلحق الأذى الشديد بإنسان أو يتسبب في وفاته. والمفهوم القانوني للتعذيب لا يقتصر على الضرب والإيذاء، بل يشمل «أي عمل يقوم به أو يحرض عليه أو يوافق عليه صراحة أو ضمناً موظف رسمي أو أي شخص يتصرف بصفته الرسمية أثناء الاستقصاء والتحقيق الأولي والتحقيق القضائي والمحاكمات وتنفيذ العقوبات، ينتج عنه ألم شديد أو عذاب شديد، جسدياً كان أم عقلياً، يلحق قصداً بشخص ما، ولا سيّما: للحصول منه أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف» (المادة 401 من قانون العقوبات معدّلة).

من هي القاضية نجاة أبو شقرا؟

القاضي نجاة أبو شقرا، من مواليد عام 1979.
عُيّنت قاضياً متدرّجاً بموجب المرسوم الرقم 6079 تاريخ 2001/8/30. وأصبحت قاضياً أصيلاً بموجب المرسوم الرقم 13368 تاريخ 2004/9/10.
هي أول قاضٍ سيدة في لبنان تتولى مركز قاضي تحقيق لدى المحكمة العسكرية، بموجب المرسوم الرقم 5079 تاريخ 2010/10/1، ولا تزال في هذا المركز حتى تاريخه.
عُيّنت عضواً في الغرفة الابتدائية في صيدا، ثم قاضياً منفرداً في عاليه.
شاركت في العديد من الدورات التدريبية، بعضها كمتدرب وبعضها كخبير أو كمدرّب.
هي مدرّب معتمد من البنك الدولي، ومقيّم لدى مجموعة العمل المالي لدول شمال أفريقيا والشرق الأوسط MENAFATF.

تولّت خلال عملها كقاضي تحقيق عسكري النظر في العديد من الملفات الخطيرة والحساسة في قضايا الإرهاب، من بينها ملف

معارك عرسال، وملف معارك بحنين، وملف الخلايا النائمة التابعة للإرهابي أحمد الأسير، وملف زوجة أمير تنظيم داعش السابق أبي بكر البغدادي المدعوّة سجى الدليمي. وفي قضايا التعامل وقضايا مخالفة قانون مقاطعة إسرائيل من بينها ملف العميل عامر الفاخوري، ملف كيندا الخطيب وملف الإعلامية ماريا المعلوف، بالإضافة إلى قضايا المخدرات كملف كوكايين المطار وملف فقدان مضبوطات من مستودع مكتب مكافحة المخدرات المركزي.
نالت أخيراً شهادة الماجستير في القانون الجنائي الدولي من جامعة بيروت العربية بدرجة ممتاز، وهي تحضّر لنيل شهادة الدكتوراه.
لها مؤلّف بعنوان «جرائم الإرهاب الإلكتروني في القانون اللبناني دراسة مقارنة» صادر عن «منشورات صادر الحقوقية»، إضافة إلى العديد من المقالات والدراسات المنشورة في المجلة القضائية، ودراسات محكّمة منشورة في مجلة الدراسات القانونية الصادرة عن كلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة بيروت العربية، ومجلة الحقوق والعلوم السياسية الصادرة عن الجامعة اللبنانية.

متابعة

الاحتيال من خلال الإبلاغ المسبق

لشو التفتيش؟

(لجك بوليغان ـ المكسيك)

صادق علوية

يبدو أنّ تطبيق القانون في لبنان اختيارياً ومحدوداً من حيث المكان والزمان. فإذا ما شاءت أي جهة رسمية مراقبة مدى الالتزام بالقانون، تصدر بياناً توزعه على وسائل الإعلام تعلن فيه أنها - مشكورة - ستقوم بعملها لساعات تبدأ من وقت محدد وتنتهي في وقت محدد. وفي هذا مخالفة لأبسط قواعد التفتيش وأصوله. إذ يبدو الأمر وكأن الجهات الرقابية تُبلغ المخالفين بأن: انتبهوا ولا تخالفوا لهذا اليوم أو لهذا الأسبوع، وبعد انتهاء مهلة المداهمة قوموا بما تشاؤون! إنها بلاد الإصلاح الطوعي وكأنها حملات لتحديد النسل اختيارياً.

وهذا يحصل في قطاعات عدة تعلن فيها الجهة المختصة، بالتاريخ والساعة، أنها ستبدأ حملة مؤقتة لمراقبة تطبيق القانون، كما في جولات مراقبة حماية المستهلك مع القوى الأمنية، وفي حملات نزع التعدّيات على شبكة الكهرباء أو مكافحة زراعة المخدرات.. وآخرها إعلان نقابة الصيادلة، في بيان، أنها ستبدأ صباح الخامس من كانون الأول 2022 حملة لمراقبة مدى التزام الصيدليات، ولهذا: أيّها المخالفون انعموا بيومَي السبت والأحد، وانتبهوا الإثنين، وعودوا إلى المخالفة الثلاثاء!

وفقاً لقانون تنظيم مهنة الصيدلة ومرسوم تنظيم وزارة الصحة، تكلّف وزارة الصحة جهازَي التفتيش (دائرة التفتيش الصيدلي في مصلحة الصيدلة أو دائرة تفتيش المستشفيات لجهة المستشفيات) القيام بعمليات التفتيش، ويضع المفتش محضراً بذلك، ما يعني مباغتة المخالفين، وهي نفسها المداهمة المنصوص عليها في المادة 164 من قانون المخدرات والمؤثرات العقلية والسلائف. إذ يجوز القيام في أيّ ساعة من ساعات النهار والليل بعمليات المعاينة والتفتيش والضبط في الأماكن التي يجري فيها بطريقة غير مشروعة، صنع أو تحويل أو تخزين مواد مخدرة شديدة الخطورة أو خطرة أو سلائف أو معدّات أو أدوات معدّة لزراعة أو إنتاج أو صنع هذه المواد بطريقة غير مشروعة. ويجوز كذلك مداهمة الأماكن التي يجتمع فيها أشخاص لتعاطي عقاقير مخدرة شديدة الخطورة، ويجب أن يسبق العملية، الحصول على موافقة النيابة العامة إذا كانت ستجري في مسكن. كما أن هذه العمليات تقع في صلب مهام القوى المختصة التي يفترض أن تقوم بأعمالها بسرية مطلقة.

أبلغت مؤسسة كهرباء لبنان المواطنين عبر تصريحات عمّا يسمّى «مصادر»، أنها ستبدأ حملة لنزع التعدّيات على الشبكة الكهربائية مطلع كانون الأول. وسننتظر أياماً لنرى التسريبات الإضافية التي ستصدر ليبني المواطنون موقفهم على أساس التسريب المرتقب الذي سيحدد التوقيت والمكان.

كما أنّ مؤسّسات المياه تفعل الأمر نفسه، ومنها مؤسسة مياه لبنان الجنوبي التي أعلنت في بيان أصدرته في 11 آب أنها ستبدأ في 25 آب حملة لإزالة التعدّيات على الشبكات بأنواعها كافة وتسطير محاضر ضبط وغرامات مالية تتجاوز قيمة الاشتراك السنوي، و«نصحت» المواطنين بتصحيح أوضاعهم والمبادرة إلى إزالة التعدّيات طوعياً (شفاطات، وصلات منزلية على الشبكة العامة، وصلات تجارية، تعدٍّ على منشآت أو شبكات عامة على اختلاف أنواعها).

قبل الأزمة المعيشية، كان المواطنون يتناقلون رسائل تتعلق بضبط السرعة تفيد بأن رادار القوى الأمنية سيكون «شغالاً» بين الساعة 12 ظهراً و6 مساءً، لذا على سالكي الأوتوستراد في هذا الوقت توقّي الحذر وعدم السرعة، ربما يساهم ذلك في تجنب السرعة. ولكن ليس هكذا تدار البلاد. فضبط المخالفة هو سيرة حياة المفتش أو المراقب، والتزام القانون من قبل المواطن هو تربية مستمرة.

في المدارس الرسمية، يعلم المدرّسون والتلامذة وحتى أهاليهم أن مفتش وزارة التربية قادم في يوم معيّن، فيقوم عمّال النظافة بتنظيف المراحيض بإشراف المدير ليوم واحد طبعاً، ويلقّن المدرّسون التلامذة العلوم ببسمة عريضة وصوت ناعم شجيّ، وفي باقي أيام الأسبوع يعود التلامذة إلى بؤسهم.

الضبط القانوني للمخالفة لا يكون بإعلام المطلوب تفتيشه مسبقاً، ولا يكون على شاكلة حملات تنظيم الأسرة وتحديد النسل طوعياً، بل على شكل مداهمة حدّد القانون أصولها. وإلى حين القيام بذلك، سنبقى نعيش في ظل غياب كامل للسلطات الرقابية، اللهمّ إلا من خلال الحملة الأمنية أو حملة نزع التعدّيات. أمّا باقي الأيام فلا دولة، لأنه ليس يوماً. والسؤال المشروع دائماً: لا نريد تفتيشاً، بل نريد دولة.. لشو التفتيش؟

> انتبهوا ولا تخالفوا لهذا اليوم أو لهذا الأسبوع، وبعد انتهاء مهلة المداهمة قوموا بما تشاؤون!

الرسمية gazette

لجان مراقبة الأفران / 1965

في العام 1965، تم تشكيل لجان مشتركة من موظفي الإدارات العامة المختصة لتفتيش ومراقبة مؤسّسات الأفران أثناء الدوام الرسمي وخارجه، وذلك لجهة قانون العمل والشروط الصحية ومكافحة الغش.

في الواجهة

تعكس كليّة الحقوق في الجامعة اللبنانية صورة عن الواقع المزري الذي تعانيه معظم مؤسّسات الدولة. لكنها لا تزال ملاذاً لطلاب الطبقات الفقيرة والمتوسطة، وبفضلها، لم تعد دراسة الحقوق كما غيرها من التخصّصات، حكراً على الأثرياء. تستقبل الكلية سنوياً مئات الطلاب، بعضهم اختار خوض هذا التحدي مع إدراكه صعوبة الدخول في مضمار الدفاع عن الحقوق، في ظل الفوضى المسيطرة على كل مفاصل الدولة، وبعضهم الآخر لسهولة الانتساب إليها، ما يجعل عدد طلاب الحقوق مرتفعاً مقارنة مع غيرها من الكليّات. فيما تقف إدارة الجامعة عاجزة عن إيجاد حلول جدية تعالج تضخّم عدد الطلاب

بحثاً عن حقوق.. في كليّة الحقوق

غدي ضيا

إنّ الانتساب إلى كليّة الحقوق لا يشترط إجراء امتحانات دخول، لكن متابعة الدروس والنجاح ليسا بالأمر اليسير، وهو ما تؤكّده نسبة النجاح في السنوات الدراسية وأعداد الخرّيجين. كما يشكو الطلاب من صعوبة اجتياز الامتحانات وكثافة المواد، وعدم الانتظام بين موعد إعطاء الدروس وموعد إجراء الامتحانات بسبب الإضرابات المتكررة.

مرّت كلية الحقوق في مدّ وجزر تبعًا للظروف السياسية والأمنية والاقتصادية، لكنها حافظت على الحدّ الأدنى من مكانتها ومستواها الأكاديمي. وهي، اليوم، تعاني أزمات خانقة، حالها حال غيرها من كليّات الجامعة اللبنانية. فشحّ المازوت في مجمّع الحدث الجامعي، كما في بقية الفروع، دفع بالإدارة إلى إرجاء بعض الامتحانات، وارتفاع كلفة النقل والمواصلات منعَ كثيرين من الحضور.

كذلك يشكو الطلاب من ارتفاع أسعار الكتب والمطبوعات التي تُسعّر بالعملة الأجنبية. ويعمد بعض الأساتذة إلى إلزام الطلاب شراء طبعات جديدة من مؤلفاتهم، من دون أن يكون هناك تغيير جوهري في محتواها.

ودفعت حدّة الأزمة الاقتصادية وتدنّي قيمة الرواتب ببعض أساتذة الكليّة إلى الهجرة، بعدما أصبح راتب الأستاذ الجامعي لا يتعدّى الـ 90 دولاراً شهرياً.

ويعاني طلاب الكليّة صعوبة في فهم المقررات التي تُدرّس باللغات الأجنبية، وهي مشكلة تتطلّب معالجتها دورات تدريبية، لأنّ معظم القوانين مستوحاة من قوانين أجنبية، وتحديدًا القانون الفرنسي. كذلك يغيب التطبيق العملي عن كليّة الحقوق، إذ لم تجرِ أي محاكمة صورية في الجامعة، علمًا أنّ هذه التقنيات هي أفضل تطبيق عملي يحتاج إليه طلاب القانون لاكتساب المهارات القانونية والشخصية، ولتعلّم فنّ المرافعة الذي يتطلّب قدرات كبيرة في التواصل والإقناع، والاستعداد لدخول مضمار العمل القضائي. وقد بات إنشاء محكمة صورية حاجة ضرورية في كليّة القانون، علمًا أن إنشاءها لا يتطلّب مصاريف ضخمة.

تقصير وإجحاف

لم تشهد كليّات الجامعة اللبنانية انتخابات للمجالس الطلابية منذ عام 2008 لـ«أسباب أمنية»، ما يؤدي إلى تعطيل الحلول الممكنة لبعض المشاكل التي يعانيها الطلاب. إذ إن من مهام هذه المجالس التنسيق مع الإدارة في ما يتعلق بالبرامج الدراسية، وتأمين المطبوعات للطلاب بأسعار مقبولة والقيام بنشاطات أكاديمية والتنسيق مع الأساتذة. كما يُفترض أن تكون المجالس الطلابية صلة وصل بين الطلاب وكل من الإدارة والأساتذة. وقد أدّت سيطرة بعض الأحزاب السياسية على مفاصل فروع الكليّة إلى وقوع بعض إدارات الفروع تحت سيطرتها. ويشكو بعض طلاب الكليّة من أن أعضاء المجالس والنوادي الطلابية الحاليين، يحصلون على تسهيلات وامتيازات خاصة سمحت لبعضهم باستعمال مختلف أساليب الغش والتلاعب بالنتائج وتسريب أسئلة الامتحانات. وبلغ تمادي بعضهم حدّ إدخال هواتفهم إلى قاعات الامتحانات الخطية. والمأساة هي عندما يتخرّج هؤلاء ويدخلون أروقة قصور العدل والوزارات والإدارات العامة والمؤسسات الخاصة، كمحامين وقضاة ورجالات قانون، من دون أن يفقهوا من القوانين شيئاً، ما يذكّر بما حدث خلال الحرب الأهلية، عندما حصل بعض القيادات الحزبية على شهادة الحقوق عن طريق التزوير أو التهديد.

> يعمد بعض الأساتذة إلى إلزام الطلاب شراء طبعات جديدة من مؤلفاتهم من دون تغيير جوهري في محتواها

لكن، رغم كل ما تعانيه الكليّة من تقصير وإجحاف من السلطة السياسية، تستمر جامعة الوطن في تخريج أجيال من الشباب المثقّف من مختلف مكوّنات المجتمع. وبتنا نرى طلابًا وخريجين ورجال قانون وقضاة ومحامين وأساتذة خرجوا من بيئات فقيرة، وحملوا على عاتقهم إحقاق الحق وضمان العدالة من دون تمييز أو تفرقة.

ويبقى أن التعبير عن الرأي والغضب حقّ مشروع لكل طالب، ولو حاول بعض المستفيدين من تدمير هذا الصرح الوطني إخفاء هذه الأصوات. إلا أنّ التغيير لن يحصل إلا برصّ صفوف الحركة الطلابية ورفع الصوت، والابتعاد عن الحسابات الفئوية الضيّقة. فالجامعة التي تأسّست على وقع نضال الطلاب وتعاضدهم لن تنهض إلا بروح الشباب، وفي طليعتهم طلاب كلية الحقوق والعلوم السياسية.

(هيثم الموسوي)

1959

نالت بيروت في العهد الروماني شهرة كبيرة كاهم معهد للقانون في انحاء الإمبراطورية الرومانية. فقد اسّس الإمبراطور الروماني لوسيوس سبيتيموس Lucius Septimius، كليّة الحقوق في بيروت في أواخر القرن الثاني للميلاد. وفي القرن الثالث، كان عصر اميليوس بابنيانوس Aemilius Papinianus صاحب أكثر من ستة وخمسين مؤلفا في الحقوق، شكّلت أساس التشريعات الحقوقية العالمية، لحفظ الحقوق وفضّ المنازعات والاقتصاص من المذنب، وتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات. وقد كانت المحاكم والقضاء على الدوام الملاذ لكل مظلوم أو صاحب شكوى، فلا غرابة أن تلقّب بيروت بـ«امّ الشرائع». وقد تأسّست كليّة الحقوق في الجامعة اللبنانية عام 1959، وأنشأت قسم العلوم السياسية عام 1960، الذي صار اسمه قسم العلوم السياسية والإدارية عام 1966، لتعرف بعدها باسم «كليّة الحقوق والعلوم السياسية والإدارية».

5

فروع تتوزّع كليّة الحقوق على خمسة فروع تغطّي خمس محافظات لبنانية. يضاف اليها الفرع الفرنسي، مركز المعلوماتية القانونية، ومركز الدراسات اللبنانية القانونية والإدارية والسياسية، ومركز التعاون الأكاديمي البحثي. وتمدّ الكليّة وهذه المراكز لبنان بالكوادر القضائية والقانونية والإدارية، وتتمتع بسمعة جيدة بين سائر الجامعات الأجنبية والخاصة في لبنان.

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com